روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الخنجر الفضى

(٢٥)

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● الخنجر الفضى ● (٢٥) ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة

٢٥

الثمن فى مصر
وما يعادل دولارًا أمريكيًا
فى سائر الدول العربية والعالم

● الخنجر الفضى ●

● لماذا حاول جهاز المخابرات المعادى القضاء على (أدهم صبرى) نهائيًا ؟

● ما سرّ الخنجر الفضّى ، الذى قضى على رجالنا فى (سويسرا) ؟

● تُرى .. هل ينجح (الموساد) ، وتكون هى نهاية (أدهم صبرى) ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل .. (رجل المستحيل) .



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ أريد هذا الرجل ..

زفر مدير جهاز المخابرات الشهير باسم (الموساد) فى ضيق ، والتقى حاجباه فى شكل ينمُّ عن الغضب العارم ، وانقلبت شفته السفلى فى امتعاض وهو يقلّب صفحات ملف ضخم ، ذى غلاف سميك موضوع أمامه على المكتب ، ثم أغلقه فى حِدَّة وعنف ، ونظر فى سخط إلى الحرفين البارزين المثبتين على ركنه ، ثم رفع رأسه يتطلَّع فى حنق ، إلى شابة جميلة الملامح إلى درجة الفتنة ، رقيقة إلى درجة الإبهار ، يطل من عينيها بريق يموج بالحيوية والتحدّى والسخرية ، ويرتسم على شفتيها مزيج من الثقة بالنفس والعنفوان والصبا .. ويبدو أن محياها الجميل أذاب عصبيَّة مدير (الموساد) ، وبخَّر غضبه ، إذ لانت ملامحه ، وخرج صوته من بين شفتيه هادئًا ، وهو يقول :

ــ ما معنى هذا الملف الضخم أيتها الملازم ؟ .. إنه يفوق الملفات الخاصة ببعض الدول حجمًا .

قالت الفتاة فى هدوء ، وهى تضع فوق شفتيها ابتسامة جذابة :

ــ إنه ملف يضم بعض أعمال المخابرات المصرية يا سيادة المدير و ....

قاطعها مدير (الموساد) ، صائحًا فى غضب :

ــ إن أول ما فعلته حينما توليت هذا المنصب ، هو أن قرأت ملف المخابرات المصرية يا (سونيا) ، ولكن هذا الملف عبارة عن أعمال ضابط واحد ، من ضباط المخابرات المصرية .

التقى حاجبا (سونيا) فى غضب مكتوم ، وهى تقول فى بطء :

ــ إنه ليس ضابطًا عاديًّا يا سيِّدى .. إنه (أدهم صبرى) .

ازدادت علامات الغضب فى ملامح مدير (الموساد) ، وهو يقول صارخًا :

ــ لماذا يثير هذا الرجل رعبكم إلى هذا الحدّ ؟ .. إنه مجرد ضابط مخابرات ولكنكم تضفون عليه صفات عجيبة ، وكأنه شيطان مريد .. إنكم مجرد مجموعة من الجبناء .

قالت (سونيا) فى عصبية :

ــ لو أنك رأيته يعمل ....

قاطعها مدير (الموساد) قائلًا :

ــ كفى يا (سونيا) .. مهما بلغت مهارته فهو مجرَّد رجل واحد ..

ضغطت (سونيا) على شفتيها غضبًا ، على حين خرج مدير (الموساد) من وراء مكتبه ، وهو يستطرد فى حنق :

ــ إنكم تكتبون تقاريركم عنه ، كما لو كانت مغامراته فيلمًا سينمائيًّا ، من أفلام المغامرات الأمريكية ، تموج بالحركة والإثارة ، واللكمات والرصاصات .. مغامرات خياليَّة لا يمكن حدوثها فى الواقع .

واستدار إليها فى حِدَّة متابعًا :

ـــ إننى لا أصدّق ما تقولونه فى تقاريركم ، فلو صحّ هذا ، لكان (أدهم صبرى) هو (سوبرمان) هذا الزمان ، ثم إننى مثقف للغاية ومعلوماتى العلمية تقول : إنه من المستحيل على رجل واحد إجادة كل هذه المهارات و ....

قاطعته (سونيا) محتدّة صائحة :

ـــ ولكن كل كلمة نكتبها فى تقاريرنا صحيحة وواقعية يا سيّدى ، ولا إخالك تظنّنا جميعًا بهذه السطحية والسخافة .. إن السيّد مدير (الموساد) السابق ، كان يضع (أدهم صبرى) فى قائمة الشخصيات الخطرة للغاية .. بل لقد كان يعدّه أخطرها جميعًا .

مطّ مدير (الموساد) شفتيه فى اشمئزاز ، وقال :

ـــ لست أدرى لِمَ كان سلفى يفكّر بهذه الطريقة المتشائمة ، ولكننى أختلف معه تمامًا ، فما زلت مصرًّا على أن (أدهم صبرى) مجرّد رجل واحد ، يمكن الإيقاع به مهما بلغت قدراته ومهاراته .

ضاقت عينا (سونيا جراهام) الجميلتان وهى تقول فى نبرة أقرب إلى التحدّى :

ـــ كما تشاء يا سيّدى .. أعطنا خطّة القضاء على (أدهم صبرى) ، وسنقوم على تنفيذها بمنتهى الدقة .

ابتسم مدير (الموساد) فى خبث ، وهو يقول :

ـــ لقد فعلت يا (سونيا) .

وتناول ملفًّا صغيرًا من فوق مكتبه ، طوّح به إليها ، وهو يقول فى تفاخر :

ـــ ها هى ذى خطّة القضاء على (أدهم صبرى) ، وإغلاق ملفّه إلى الأبد .

تلقّفت (سونيا) الملف ، واعتدلت فى مقعدها ، وأخذت تقرأ ما به فى اهتمام ، ثم لم تلبث عيناها أن برقتا فى شراسة ، لا تتناسب مع جمال ملامحها ، أو رقّة جسدها ، وهى ترفع وجهها إلى مدير (الموساد) ، قائلة فى صوت مبحوح من شدة الانفعال :

ـــ رائع يا سيّدى .. إنها خطة رائعة .

لوّح بكفّه فى حركة مسرحية ، وهو يقول :

ـــ لقد أمرت خبراءنا بدراسة كل المهام التى أسندتها المخابرات المصرية إلى (أدهم صبرى) هذا ، بحيث أمكننا استنباط نوع العملية التى تدفعهم إلى إرساله حيثما نشاء ، وهناك يسقط فى فخ مخابراتنا كالفأر .

قفزت (سونيا) واقفة من شدة انفعالها ، وهى تقول :

ـــ أعتقد أنك لن تبخل بالإمكانات فى هذه العملية يا سيّدى .

ابتسم وهو يقول :

ـــ بالطبع أيتها الملازم ، وستسند إليك هذه المهمة ، نظرًا لخبرتك فى الصراع مع هذا الرجل .

وتحوّلت ابتسامته إلى السخرية ، وهو يستطرد :

ـــ برغم أنه انتصر فى كل المرّات .

قطّبت (سونيا) حاجبيها الرفيعين فى غضب ، ولكنها لم تنطق بكلمة ، على حين استطرد هو فى حماس مفاجئ :

ـــ سيكون لك كل ما تريدين يا (سونيا جراهام) ، شريطة أن نغلق ملف (أدهم صبرى) إلى الأبد .

قالت (سونيا) فى لهجة حالمة :

ـــ إنها ليست رغبتك وحدك يا سيّدى .. أنا أيضًا أريد هذا الرجل .

* * *



٢ ــ الطعنة القاتلة ..

أشار مدير المخابرات المصرية إلى (أدهم صبرى) بالجلوس إلى جواره ، فى قاعة العرض السينمائى ، الملحقة بمكتب المخابرات ، ثم لوَّح بيده فى إشارة خاصة ، ليبدأ العرض وهو يقول :

ــ تهنئاتى بترقيتك إلى رتبة (عقيد) يا (ن ــ ١) .

ابتسم (أدهم) وهو يتابع العرض السينمائى ، الذى بدأ على الشاشة ،.وقال فى اختصار :

ــ شكرًا لك يا سيِّدى .

أشار مدير المخابرات إلى الصورة المرتسمة على الشاشة ، وقال :

ــ هل تعلم ما هذا المبنى يا (ن ــ ١) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ إنه مكتبنا فى (برن) عاصمة (سويسرا) .

عاد مدير المخابرات يسأله ، والصورة تتحرَّك فوق الشاشة :

ــ هل تعرف عدد العاملين فيه ؟

أجاب (أدهم) :

ــ ثلاثة أشخاص يا سيِّدى .. (إبراهيم) و (حسين) و (عماد) ..

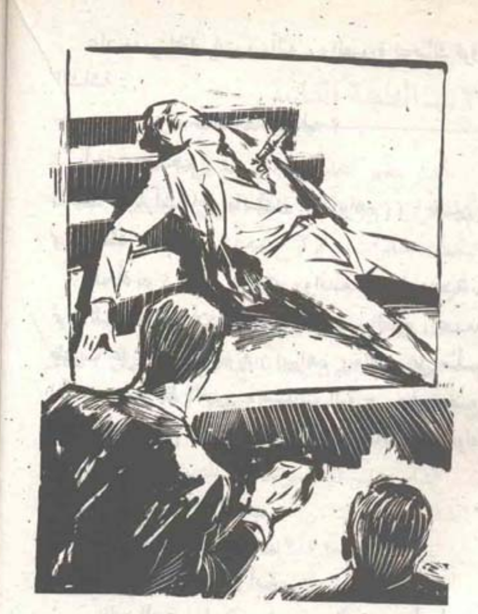
وفجأة بتر (أدهم) عبارته ، واتسعت عيناه دهشة ، ثم لم تلبث ملامحه أن تحوَّلت إلى الغضب العارم ، عندما ظهرت على الشاشة صورة (إبراهيم) ملقى على سُلَّم المكتب ، جاحظ العينين ، مسلوب الروح ، وفى موضع القلب منه انغرس خنجر فضِّىّ صغير ، وسالت من حوله الدماء ..

قال (أدهم) فى غضب :

ــ من فعل هذا يا سيِّدى ؟

قال مدير المخابرات فى أسف :

ــ تابع العرض يا (ن ــ ١) .. هناك ما هو أسوأ ..



ظهرت على الشاشة صورة (إبراهيم) ملقى على سُلَّم المكتب ، جاحظ العينين ، مسلوب الروح ..

ازداد الغضب فى نفس (أدهم) ، حينما ظهرت على الشاشة صورة تمثل (حسين) ، وهو ملقى على مقعد مكتبه ، وفى موضع قلبه أيضًا خنجر فضِّىّ.. وقفز (أدهم) واقفًا وهو يقول :

ــ متى أسافر إلى (برن) يا سيِّدى ؟

قال مدير المخابرات فى هدوء ، وهو يشعل سيجارته :

ــ اجلس يا (ن ــ ١) ما زال هناك المزيد .

جلس (أدهم) وهو يتمتم فى غضب :

ــ لا تقل لى إنهم قتلوا (عماد) أيضًا يا سيِّدى .

قال مدير المخابرات :

ــ لو أنك تابعت العرض ، لوجدت إجابة لكل تساؤلاتك .

عاد (أدهم) يتابع العرض وهو يزفر فى صوت مسموع ، معبِّرًا عن سخطه وغضبه ، وفجأة توقَّف عما يفعل ، وساد الصمت تمامًا فى القاعة ، إلى أن أشار (أدهم) إلى الشاشة ، وقال فى صوت بطىء :

— أليس هذا هو (ألان شيفاليه)(*) ؟

قال مدير المخابرات :

— بلى .. إنه هو .. و (عماد) يسعى خلفه منذ أسبوع ، محاولًا الإيقاع به ، ولكن هناك شخص آخر تدخّل فى الأمر .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، حينما ظهرت صورة فتاة رائعة الحسن على الشاشة ، وقال فى هدوء ، وهو يداعب أرنبة أنفه بطرف سبّابته :

— آه !! هل تقصد عزيزتنا (سونيا جراهام) يا سيّدى ؟

أجابه مدير المخابرات فى هدوء :

— إنها هى يا (ن — ١) .. ولقد أدّى تدخّلها إلى نتيجة سيّئة للغاية .

وفى الحال صاح (أدهم) غاضبًا ، فقد ظهرت صورة (عماد) مطعونًا بخنجر فضّىّ هو الآخر ..

(*) راجع قصة (أصابع الدمار) المغامرة رقم (٢٢) .

قال (أدهم) فى حنق :

— إنهم يحاولون تصفية مكتبنا فى (برن) ، لسبب ما يا سيّدى .

توقّف العرض السينمائى ، إثر إشارة من يد مدير المخابرات ، الذى قال :

— إنه تصرُّف عجيب منهم يا (ن — ١) ، فأمر مكتبنا فى (برن) لا يعدُّ سرًّا ، فهو معروف منذ قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين .. ونحن أيضًا نعلم بوجود مكتبهم فى لوزان ، ولكنَّ أحدًا منا لم يحاول من قبل تصفية مكتب الآخر .. وهذا التصرُّف يشير إلى شىء ما يختفى وراءه .. شىء خطير للغاية لو أردت رأيى .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

— المبرِّر الوحيد لتصفيتهم رجال مكتبنا ، هو عزمهم على القيام بمهمة ما ، يخشون من تدخُّلنا فيها .

مطَّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

— لقد درسنا هذا الاحتمال يا (ن — ١) وخاصة بعد ظهور (سونيا جراهام) ، وبسبب علاقتها السابقة بـ (ألان شيفاليه) .. ولقد تصوَّرنا أنه بصدد إعداد مخبإ جديد للقنابل الذريّة ، فى محاولة للسيطرة على العالم كالسابق ، ولكنَّ خبراءنا يقولون إن هذا التصرُّف لا يفسر قيام (الموساد) بتصفية مكتبنا هكذا ، بل كان المفروض أن يتكتّم الأمر ، ولا يحاول الإقدام على أىّ عمل من شأنه إهاجتنا أو إثارة شكوكنا .

ظلَّ (أدهم) يفكِّر فى عمق ، على حين استطرد مدير المخابرات قائلًا :

— هناك أمر ما لم نتوصَّل إليه بعد يا (ن — ١) .. هدف غامض وراء هذه العملية الاستفزازية ، لم نفهمه بعد .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال متابعًا فى هدوء :

— وهذه هى مهمتك يا (أدهم) .. ما دمنا لا نفهم ماذا يبتغون ، فلنرسل لهم من يستطيع تأديبهم .. فلنرسل (رجل المستحيل) .

* * *

٣ — جبل من الجليد ..

وضع (ألان شيفاليه) سماعة الهاتف ، وابتسم ابتسامة عريضة ، وهو ينظر إلى (سونيا جراهام) قائلًا :

— لقد وصل (أدهم صبرى) وزميلته إلى (برن) ، منذ عشر دقائق .

قطّبت (سونيا) حاجبيها الجميلين ، وقالت :

— هل تعرّفه (موريس) برغم تنكُّره ؟

هزَّ (ألان) رأسه ، وقال :

— إنه لم يأت متنكّرًا هذه المرة .. لقد حضر بوجهه العادى .

ازدادت عينا (سونيا) اتساعًا ، وهى تغمغم :

— لم يتنكَّر ؟! .. يا له من جرىء !!

ابتسم (ألان) ، وقال وهو يداعب أصابع يده اليمنى الصناعية :

ــ أو هو أحمق يا جميلتى .. المهم أنه ألقى بنفسه بين أيدينا .

مطَّت (سونيا) شفتيها المكتنظتين فى ضجر ، وقالت :

ــ (أدهم صبرى) آخر من يوصف بالحماقة يا (شيفاليه) .. صحيح أنه جرىء ولكنه ليس متهوّرًا .. إن ما يبدو للآخرين كذلك ، يكون دائمًا مدروسًا من قِبَل هذا الشيطان المصرى ، وما دام قد حضر دون تنكُّر ــ برغم مهارته الفائقة فى هذا المجال ــ فذلك يعنى أنه تعمَّد ذلك .

قال (ألان) فى غضب :

ــ هل يتحدَّانا ؟ ... هل يجرؤ على .... ؟

ابتسمت (سونيا) ابتسامة ساخرة ، وهى تقول :

ــ إنه يجرؤ على تحدِّى الشياطين يا (شيفاليه) ، وأعتقد أن حضوره المكشوف هذا ، يعنى أنه يتحدَّانا بالفعل .

نظر (شيفاليه) فى ساعته ، وقال فى تحدٍّ :

ــ لن يجد ما يكفى من الوقت يا جميلتى .. إن (موريس) يتبعه بصحبة خمسة من أقوى رجالى ، ولن تمضى ربع ساعة ، حتى يكون الشيطان المصرى وزميلته فى خبر كان .

خرجت من بين شفتى (سونيا) همهمة ساخرة ، وقالت :

ــ يحسن إذن أن تحضر عددًا يكفى من رجال الإسعاف لاستقبال رجالك ، ف (أدهم صبرى) لا يقع بمثل هذا الأسلوب البدائى .

احمر وجهه غضبًا ، وصاح وهو يضرب مقعده بكفه اليسرى :

ــ سنرى يا (سونيا) .. سيسعدنى رؤية الدهشة على وجهك ، حينما أهدى لك رأس (أدهم صبرى) هذا .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت وهى تشعل سيجارتها فى بطء :

ــ نعم .. سنرى .

* * *

مالت (منى توفيق) على أذن (أدهم صبرى) ، وهمست فى توتُّر :

ــ هناك من يتبعنا يا (أدهم) .

أجابها فى هدوء ، وهو يقود سيارته :

ــ أعلم يا (منى) .. إنهم خمسة رجال ، وبصحبتهم (موريس) ، كلب (ألان شيفاليه) الوفىّ ، فى سيارة (مرسيدس) حمراء ، يتبعوننا منذ غادرنا المطار .

سألته فى دهشة :

ــ هل تعلم منذ ذلك الحين ؟

أجابها فى بساطة :

ــ نعم يا (منى) .. وأعلم أيضًا أنهم لن يحاولوا التخلُّص منا فى الطريق الرئيسى ، بل ينتظرون أن ننحرف إلى أى طريق جانبى .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

ــ ومجرد وجودهم يثير فى نفسى العديد من التساؤلات .

سألته (منى) ، وهى تختلس النظر إلى مرآة السيارة :

ــ أيَّة تساؤلات ؟

قال وهو يميل بالسيارة فى طريق جانبى :

ــ الأمر يبدو وكأنهم كانوا ينتظروننا يا (منى) ، وهذا عجيب ، إلَّا إذا كانت هناك خطَّة خاصَّة للإيقاع بنا .

شحب وجه (منى) ، وهى تقول :

ــ تقصد للإيقاع بك ، فأنت عدوّهم الأول .

وفجأة انحرف (أدهم) فى طريق ضيق ، وأوقف السيارة بصورة حادَّة صائحًا :

ــ هيَّا أيتها النقيب .. غادرى السيارة بأقصى سرعة ممكنة .

قفزت (منى) من السيارة ، وأسرعت تتبعه إلى منزل صغير ، لم يلبث الاثنان أن اختفيا فى مدخله ، فى نفس اللحظة التى انحرفت فيها (المرسيدس) الحمراء فى نفس الطريق ، وتوقَّفت خلف سيارتهما تمامًا ، وقفز منها الرجال


وأسرعت تتبعه إلى منزل صغير ، لم يلبث
الاثنان أن اختفيا فى مدخله ..

الخمسة يقودهم (موريس) ، وتوقَّفوا فجأة فى حذر ، على حين سحب كل منهم مسدسه المزوَّد بكاتم للصوت ، وصوَّبه نحو السيارة ، وقال (موريس) :

ـــ انتبهوا يا رجال .. إن السيارة خالية .. هذا الشيطان يحاول خداعنا .

همست (منى) ، وهى تتطلَّع إلى الرجال من خلف باب المنزل :

ـــ لقد كشفوا الخدعة يا (أدهم) .. هل تعتقد أنهم سيفتشون المكان ؟

ولمَّا لم تتلقَّ جوابًا ، عادت تقول :

ـــ ما رأيك يا (أدهم) ؟

أجابها لفيف من الصمت ، فالتفتت خلفها ، ثم اتسعت عيناها دهشة ، وغمغمت :

ـــ (أدهم) ! .. أين أنت ؟

فقد كان المكان خاليًا ، ولا وجود للشخص المعروف باسم (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

همس أحد الرجال المصاحبين لـ (موريس) فى قلق :

ـــ ربما يختبئ هذا الرجل فى قاع السيارة لمفاجأتنا .

قال (موريس) ، وهو يجذب صمام الأمان بمسدسه :

ـــ سنحوِّل جسده إلى مصفاة ، لو أنه كذلك .

وفى الحال بدأ الرجال الستة يطلقون رصاصاتهم على السيارة ، حتى تحوَّلت إلى ما يشبه المصفاة ، وتوقَّفوا بعد إشارة من (موريس) ، الذى اقترب من السيارة حَذِرًا ، وهو يقول :

ـــ ما من مخلوق يمكنه البقاء حيًّا ، بعد هذا المطر من الرصاصات القاتلة .

تبع الرجال الخمسة زعيمهم فى خطوات حذرة ، وتعلَّقت به أبصارهم ، وهو يفتح باب السيارة ، وانتقل غضبه إليهم حينما صاح محنقًا :

ـــ إنها خالية .

أجابه صوت ساخر يفيض بالتهكُّم :

ـــ هل أدهشك ذلك أيها الوغد ؟

استدار (موريس) ورجاله الخمسة كالبرق نحو مصدر الصوت ، وتحرَّك (أدهم صبرى) بأسرع من البرق .. تحرَّكت أطرافه الأربعة فى آن واحد ، بشكل مثير لدهشة علماء وظائف الأعضاء أنفسهم ، فركلت قدماه مسدسين من مسدسات الرجال الخمسة ، وحطَّمت قبضته اليمنى أنف رجل ثالث ، وقبضته اليسرى فكَّ رجل رابع ، وهتف الخامس فى ذهول :

ـــ يا للشيطان !!

ولم يكد آخر حروف الكلمة يخرج من بين شفتيه ، حتى تحطَّمت أسنانه ، بفعل قبضة فولاذية ، هبطت على فكه كالقنبلة ، وجذب أحدهم مسدسه من قبضته دون مقاومة تذكر ، ثم تلقت معدته صاعقة دفعتها لإفراغ محتوياتها ، وغاص عقله فى دوَّامة سوداء ، يسمِّيها الأطباء بالغيبوبة .

حتى (موريس) نفسه ، لم يجد الوقت للتعبير عن دهشته ، أو لإطلاق النار .. فقد طار مسدسه بفضل

ركلة قوية من قدم (أدهم) ، التى تشبه المطرقة ، ورأى قبضة (أدهم) تسقط على وجه أحد الرجال ، فتختلط ملامحه بدمه وعظامه ، ثم رأى (أدهم) يتفادى لكمة وجهها إليه الرجل الخامس والأخير ، وينحنى وينثنى ثم يهبُّ وينفرد ، ويطلق يسراه ، فتهشَّم فكّ الرجل فى صوت مسموع واضح ..

وهنا استدار (موريس) مزمعًا الهرب ، ولكنه شعر بذراع فولاذية تقبض على عنقه من الخلف ، وتجذبه فى قسوة وقوة ، ثم شعر بجسده يرتفع فى الهواء ، ويرتطم بالأرض ، وسمع صوتًا ساخرًا يقول :

ــ مرحبًا يا صديقى (موريس) .. ما رأيك فى أن نتحدَّث معًا لبعض الوقت .

أسرعت (منى) نحو (أدهم) ، ومسدسها مشهور فى يدها ، وقفزت متخطِّية الرجال الخمسة الفاقدى للوعى ، وهى تصيح :

ــ رائع يا سيادة العقيد .. لِمَ لَمْ تستخدم مسدسك ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال وهو يمسك بسترة (موريس) ، ويجبره على الوقوف إثر جذبة قوية :

ــ ولِمَ يا عزيزتى ؟.. إنهم خمسة رجال فقط .

ابتسمت (منى) ، وقالت وهى تعيد مسدسها إلى حقيبتها الصغيرة :

ــ بل ستة يا سيِّدى .

قال (أدهم) فى سخرية ، وهو يحدِّق فى عينى (موريس) مباشرة :

ــ آه !! معذرة يا عزيزتى .. لقد تذكَّرت صديقنا (موريس) .

ثم سأل (موريس) ، فى صوت يجمِّد الدم فى العروق :

ــ هل لك أن تخبرنى أين أجد سيِّدك (شيفاليه) يا عزيزى (موريس) ؟

ابتسم (موريس) ابتسامة شاحبة ، وقال :

ــ هل تظن أننى سأخونه من أجلك ؟

قال (أدهم) فى برود :

ــ بل من أجل حياتك يا صديقى .. لو أنك لم يخبرنى أعدك بأن أدفنك تحت أول جبل جليدى يقابلنا .

حاول (موريس) أن يبدو ساخرًا غير مبال ، إلَّا أن صوته خرج مرتعدًا على الرغم منه ، وهو يقول :

ــ لا يمكننى أن أخون سيِّدى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ لست فى حاجة إلى ذلك يا (موريس) .. أخبر سيِّدك الوغد أننا نعلم أنه يقيم فى ڤيلا خاصة ، فى منطقة التزحلق الرياضية ، تحت اسم (ريمون أندريه) ، وأنه يودع أمواله فى بنك (كريدى سويس) فى حساب سرِّىّ ، يحمل رقم خمسة آلاف وسبعة وتسعين ، تحت حرف السين من الدرجة الأولى .

حدَّق (موريس) فى وجه (أدهم) مذهولًا ، على حين استطرد هذا الأخير فى برود :

ــ وأخبره أيضًا أن يفكِّر طويلًا ، قبل أن يتحدَّى المخابرات المصرية ، فنحن لا نغفر بسهولة ، وإذا كان يظن

أنه قادر على إشعال النيران ، فنحن سنطفئها كجبل من الجليد ، يسقط فوقه عود من الثقاب .

غمغم (موريس) فى ذهول :

ــ أنت شيطان .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ حسنًا أيها الوغد .. أبلغ سيِّدك بذلك ، وأخبره أن يتوقع زيارتى فى أيَّة لحظة من الآن .. ولْنَرَ من منا سيلقى الرُّعب فى قلب الآخر .

* * *



٤ ـ كل القوى ..

أطلقت (سونيا جراهام) ضحكة ساخرة عالية، على حين امتقع وجه (ألان شيفاليه) ، وصاح غاضبًا محنقا فى وجه (موريس) :

ـ هل جرؤ على أن يحادثك بهذا ؟

قال (موريس) فى غيظ :

ـ إنه يعلم كل شىء عنا ، عدا أمر القاعدة السرّيّة و ...

قاطعه (ألان) قائلًا :

ـ لا تذكرها مرة ثانية يا (موريس) .. احتفظ بها فى عقلك فقط .

قالت (سونيا) فى سخرية ، وهى تشعل سيجارتها :

ـ نعم .. فى عقله الغبىّ .

التفت إليها (موريس) محنقًا ، على حين ابتسم (ألان) ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـ لا تنكئى جرحه يا جميلتى .. لقد تصرَّف بما ظن أنه الأسلوب الأمثل .

قالت (سونيا) ، وهى ترمق (موريس) بنظرة ساخرة :

ـ الأسلوب الأمثل لقتال أوغاد الشوارع ، وليس لمحترف فوق العادة ، مثل (أدهم صبرى) .

أشعل (ألان) سيجاره الفاخر ، وحاول جاهدًا المحافظة على هدوء أعصابه ، فنفث دخان السيجار فى بطء ولفترة طويلة ، وتنحنح وسعل بصورة تمثيلية ، ثم رفع رأسه إلى (سونيا) ، وقال فى هدوء :

ـ كيف تتصوَّرين أن نجابه رجل المخابرات المصرى هذا يا (سونيا) ؟

هزَّت (سونيا) كتفيها ، وهى تنفث دخان سيجارتها بدورها ، وقالت :

ـ لو أنك سمحت لى بقيادة رجالك يا عزيزى فربما ....

قاطعها (ألان) بضحكة عالية مجلجلة ، فاتسعت عيناها دهشة ، ثم واجهها وهو يلوِّح فى وجهها بأصابعه التى تحمل السيجار المشتعل ، وقال :

ـ دعينى أنا أخبرك كيف تعمل مخابرات دولتك يا جميلتى .

ثم مال نحوها ، وقال وهو ينظر فى عينيها الجميلتين :

ـ أنتم خبثاء يا فتاة (الموساد) .. لا تبتسمى فى سخرية هكذا .. إنها الحقيقة .. أنتم خبثاء وجبناء أيضًا ، وطريقتكم واضحة ومعروفة ، فأنتم تحاولون دائمًا إلقاء العبء على غيركم ، على أن تحتفظوا لأنفسكم بالنصر .. كل النصر وتتنصَّلون من الهزيمة ، أو بمعنى أدق تلقون بها على كاهل من لعبتم به .. إنكم تبحثون دومًا عن المنظمات القوية الفعَّالة ، فتتظاهرون بالتعاون معها ، ومساعدتها ، على حين أنكم فى الواقع تتعاملون معها كما يتعامل الفيروس مع الخلايا الحيَّة .. إنه يدخل إلى الخليَّة ، فيسيطر على نواتها ، ويجند أجهزتها للعمل من أجله ، وللعمل على تقويته وإضعافها .. وهذا هو المرض يا جميلتى .. وهذا ما فعلتموه أنتم بكل المنظمات ، التى اندسستم داخلها .. (المافيا) .. (سكوربيون) .. حتى المنظمة التى أحاول أنا بناءها ، بعد

هزيمة تحالفنا أنا و (شيلدون) فى (كندا) .. أقصد منظمة (الخنجر الفضىّ) .. جندتموها لحسابكم .

أودعت (سونيا) جمالها الصارخ ، وجاذبيتها الفاتنة فى ابتسامة رقيقة ، وهى تقول فى دلال :

ـ أنت تظلمنا يا عزيزى (شيفالييه) .

قال فى عصبيَّة ، وهو يلوِّح بذراعه فى غضب :

ـ يالك من صفيقة !! .. هل تكذِّبين ما أقول ؟ .. قولى إذن لم تعمَّدت قتل رجال المخابرات الثلاثة بخناجر فضيَّة ؟ .. أليست محاولة لاستغلال اسم منظمتى ؟

ابتسمت (سونيا) فى ارتباك ، وقالت :

ـ مطلقًا يا عزيزى .. ألم نتفق فوق جزر (ألوتيان) ، على أن نلتقى هنا فى (سويسرا) ؟ .. ألم تخبرنى أنك وضعت فى بنك (كريدى سويس) ، مبلغ مليارين من الدولارات ، من أجل إنشاء منظمتك ، وأنك أعددت قاعدة سريَّة ، وجندت عددًا ضخمًا من الرجال ، و ....

قاطعها (ألان) ساخرًا :

— وهل أخبرتك أننى أريد محاربة جهاز المخابرات المصرى و (أدهم صبرى) ، فى بداية عملى ؟

هزَّت كتفيها ، وقالت وهى تغمز بعينها :

— لا بدَّ لمنظمتك من بداية قوية ، لتعلن ظهورها يا عزيزى .

ابتسم فى سخرية مريرة ، وقال :

— حسنًا يا (سونيا) .. لقد كنت غبيًّا حينما وافقتك فى البداية ، وهأنذا أدفع ثمن غبائى .

قفزت من مقعدها صائحة :

— كل هذا لمجرَّد أن (أدهم صبرى) يواجهك .. سلِّمنى قيادة رجالك ، وأعدك بالتخلُّص منه فى أربع وعشرين ساعة فقط .

تأمَّلها (ألان) فترة ، وهو يشبك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وينفث دخان سيجارته فى هدوء ، ثم نظر إلى ساعته ، ورفع سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًّا ، وقال فى لهجة آمرة :



ورفع سماعة الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًّا ..

— اسمعنى جيِّدًا يا (فرانسوا) .. أنا (شيفاليه) .. ستتسلَّم (سونيا جراهام) قيادة قواتنا لمدة أربع وعشرين ساعة .. نعم .. حتى السادسة من مساء الغد .

وابتسم ابتسامة صفراء ، وهو يتأمَّل (سونيا) مستطردًا :

— وفى السادسة والدقيقة الواحدة ، أحضروا لى جثة الضابط المصرى ، أو جثة (سونيا) .

شحب وجه (سونيا) لحظة ، ثم استعادت برودها وهى تقول :

— حسنًا يا (شيفاليه) ، فلنعتبره اتفاقًا .

* * *

نفخت (منى) بعض الغبار عن مكتب أنيق ، وقالت وهى تبعد وجهها عن التراب المنتشر :

— يبدو أنك تصرُّ على هلاكنا يا سيادة العقيد .

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء ، وهو يجلس على المقعد خلف المكتب :

— ولِمَ يا عزيزتى النقيب ؟

قالت فى حنق :

— لأنك حضرت إلى مكتبنا فى (برن) يا (أدهم) .. إنه أول مكان سيبحثون فيه عنا بالتأكيد .

قال (أدهم) ، وهو يهزُّ كتفيه فى لا مبالاة :

— بالطبع .. وهذا ما أريدهم أن يفعلوه ، أفهم ماذا يريدون .

ثم استطرد وهو يرفع رأسه ، ويشرد ببصره فى السقف :

— لقد تخلَّصوا من كل رجال مكتبنا ، مستخدمين خناجر فضيَّة ، ثم حينما وصلنا أنا وأنت إلى (برن) ، وجدنا رجالهم فى انتظارنا ، وحاول (موريس) قتلنا .. يا إلٰهى !! لو صدَّقت غرورى لقلت إنهم يستهدفوننى أنا .

رفعت (منى) رأسها إليه بغتة ، وقالت ، رباه !! ولكن هذا صحيح .. إنهم يستهدفونك أنت و ....

أسكتها (أدهم) بإشارة من يده ، وقفز فجأة قفزة ماهرة رشيقة عَبْر المكتب ، وهبط على أطراف أصابعه دون أن يحدث صوتًا يذكر ، وأمسك معصمها وهو يهمس :

ــ يبدو أنهم بدءوا الحركة يا عزيزتى .. فهناك من يحاول فتح باب المكتب .

أصغت (منى) مستمعة ، وهمست فى توتر :

ــ هذا صحيح .. ماذا نفعل ؟

حلَّ (أدهم) الزِّرّ الذى يوصل طرفى سترته ، وقال مبتسمًا :

ــ لنتبع حكمة (نابليون) يا زميلتى العزيزة .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .

ثم قفز فجأة ، وفتح باب المكتب عن آخره ، وابتسم فى سخرية حينما طالعته وجوه الرجال الخمسة ، الذين يمسكون بمسدساتهم ، وقد علت وجوههم الدهشة لمبادرة (أدهم) الجريئة .. ولم تلبث الدهشة أن اختفت من الوجوه ، وحلَّ محلها الغضب والعزم ، وسمع الخمسة صوت (أدهم) الساخر وهو يقول :

ــ مرحبًا بكم فى مكتبنا أيها الأوغاد .

وفجأة خُيِّل للرجال الخمسة أن جسد (أدهم صبرى) قد تحوَّل إلى قنبلة ، انفجرت فى وجوههم

وأجسادهم ، فقد تلقَّى أولهم لكمة انفجرت فى وجهه ، وتفجَّرت لها منه الدماء .. وفقد الثانى مسدسه ، إثر لكمة قوية من راحة (أدهم) ، ثم صرخ فى قوة عندما هشَّمت قدم (أدهم) عظام حَرْقَفته ، وسقط فاقد الوعى بعد لكمة قوية ، خلطت عظام أنفه بلحمها .. ورفع الثالث مسدسه ، وخُيِّل له أنه سمع صوت رصاصة تنطلق ، ولكنه تنبَّه فى الجزء من الثانية الذى مضى بين ذلك وبين فقدانه لوعيه ، أن الصوت الذى سمعه كان صوت عظام فكّه وهى تتهشَّم .. أما الرابع والخامس فقد طار مسدساهما فجأة ، بعد أن قفز (أدهم) ، وأطاح بهما بركلتين رائعتين ، ثم انثنى كلاهما إلى الأمام ، حينما غاصت قدما (أدهم) فى معدتيهما ، قبل أن يستقر على الأرض .. وأخيرًا انطلقت قبضتا (أدهم) فى آن واحد ، وتحطَّمت فكَّا الرجلين بصوت مرتفع ، وانتهى القتال .

أعادت (منى) مسدسها إلى حقيبتها وهى تبتسم ، فلم تجد الوقت الكافى لاستخدامه ، برغم أنها نزعته بسرعة البرق ، وقالت فى هدوء وهى تتأمَّل الرجال الخمسة :

ــ لماذا خمسة دائمًا ؟

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ ربما يتفاءل المجرمون بهذا العدد .

ثم تناول معطفه الثقيل ، وارتداه وهو يقول مستطردًا :

ــ ما دمنا قد فهمنا أنهم يستهدفوننى ، فلا داعى لإضاعة الوقت هنا يا (منى) .. دعينا نتوجَّه لزيارة صديقنا (ألان شيفاليه) ، المعروف هنا باسم (ريمون أندريه) .

تبعته (منى) فى استسلام ، وقفزت إلى السيارة الصغيرة بدورها ، على حين اتخذ هو مقعده أمام عجلة القيادة ، وانطلق بالسيارة فى سرعة ومهارة ، برغم الثلوج التى تغطِّى الطريق .. وعلى بعد أمتار قليلة منهم أدارت سيارة من نوع (البورش) محرِّكاتها ، وقال سائقها وهو يمسك فى يده بميكروفون لاسلكى حسَّاس :

ــ لقد انطلق الصيد بسيارته ، بعد أن عالجها (سيمون) .

وعلى بعد عشرات الكيلومترات ، وضعت (سونيا)

سمَّاعة جهازها ، وابتسمت فى شراسة ، وتألَّقت عيناها الجميلتان ، وهى تقول :

ــ ها قد ابتلع شيطاننا المصرى الطُّعم .. وسيدرك بعد قليل أن الطريق من (برن) إلى ساحة التزحلق وعر وزلج للغاية .

وأعقبت قولها بضحكة عالية رقيقة ، على حين ابتسم (ألان) ابتسامة متشكِّكة ، وهزَّ كتفيه وهو ينفث دخان سيجاره فى قوة وهدوء .

* * *



٥ ــ المصيدة ..

غمغمت (منى) وكأنها تحدث نفسها ، فى أثناء انطلاق (أدهم) ، فى الطريق الموصل ما بين (برن) و (زيورخ) :

ــ لا شك أن مؤرخى المخابرات ، سيضعون عملياتنا فى باب الأعمال الجنونية .. فليس من الطبيعى فى عالم الجاسوسية ، أن تهرع الفريسة إلى الصيَّاد ، بكل هذه الجرأة وكل هذا البرود .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ هذا يتوقَّف على تحديدهم للفريسة والصيَّاد يا عزيزتى .

مطَّت شفتيها فى سخرية ، وقالت :

ــ بل هى فريسة واحدة ، وعدد لانهاية له من الصيادين .

رفع (أدهم) حاجبيه مبتسمًا ، وقال :

ــ فلنترك هذه المشكلة للمؤرِّخين يا عزيزتى ، ولنستمر نحن فى مهمتنا .

هزَّت كتفيها واسترخت فى مقعدها ، وكأن الأمر لا يعنيها ، على حين قال (أدهم) ، محاولاً تغيير دفَّة الحديث :

ــ هل تعلمين يا زميلتى العزيزة ، أننا بصدد عبور أخطر منحنى فى العالم ؟ .. إنهم يعتبرونه كذلك ؛ لأنه يميل ثلاثًا وثمانين درجة دفعة واحدة ، ويطلُّ على هاوية عمقها كيلو متران ، ويبلغ طوله سبعة كيلومترات ، وتزداد خطورته فى مثل هذا الوقت من العام ، حيث يتحوَّل بفعل الثلوج المتراكمة ، إلى سطح زلج للغاية ، وهو أيضًا يميل إلى أسفل بشكل مدهش ..

كانت السيارة قد أشرقت على بداية المنحنى ، فأعاد (أدهم) ذراع السرعة إلى الوضع الثالث ، وضغط كبَّاحة السيارة (فراملها) ، ثم زوَى ما بين حاجبيه لحظة ، عاد بعدها يبتسم فى قلق متمتمًا :

ــ يا للسخافة !!

رفعت (منى) جسدها ، محاولة فهم معنى عبارته ، وأدهشها انطلاق السيارة بهذه السرعة ، فى أخطر منحنى فى العالم ، فقالت فى قلق :

ــ خفِّف السرعة قليلاً يا (أدهم) .. أعلم مقدار مهارتك فى القيادة ، ولكننى أشعر بالخوف .

أجابها فى هدوء :

ــ وأنا أيضًا يا عزيزتى ، ولكننى لا أملك الإقلال من السرعة ، فقد أفسد أحدهم كبَّاحة السيارة (فراملها) .

اتسعت عينا (منى) رعبًا ، وحدَّقت فى ذعر فى المنحنى الشديد الميل ، وشعرت بالسرعة الرهيبة التى تتحرَّك بها السيارة ، فشحب وجهها ، واستكانت فى مقعدها مغمضة العينين ، وكأنها تنتظر الموت فى استسلام ، على حين جنَّد (أدهم) حواسَّه كلها فى قيادة السيارة ..

كان أمله ينحصر فى عبور الكيلومترات السبعة ، التى تمثِّل منحنى الموت .. وكان يعلم مدى صعوبة ذلك ، ولكن

كل ما فعله هو أنه أعاد ذراع السرعة إلى وضع الصفر ، ومال بالسيارة نحو الصخور التى تمثل الجانب الآخر من الطريق ، وبدأ يحتك بها بجانب سيارته ، محاولاً الإقلال من سرعتها ..

وفجأة برزت سيارة من نوع (اللورى) خلفه ، وهى تتجه نحوه فى سرعة رهيبة ، وغمغم (أدهم) فى سخرية :

ــ سيكون عليك أن تهدِّئ من سرعتك يا صديقى ، فلن يمكننى ....

وفجأة اصطدم اللورى بمؤخرة سيارة (أدهم) و (منى) بشكل متعمِّد .. وفهم (أدهم) الأمر .. علم أنه وقع فى مصيدة ، وخاصة حينما رأى سائق اللورى من خلال مرآة سيارته .. لقد كان (موريس) نفسه ، ذراع (ألان) الأيمن . وكان واضحًا من القسوة والشراسة فى ملامحه ، أنه مصرٌّ على القضاء على (أدهم) وزميلته ، مهما كان الثمن .

* * *

لو أننا راجعنا مغامرات (أدهم) السابقة ، لوجدنا أنه يمر بأصعب مواقف حياته ويحاول الإفلات من منحنى خطر ،

ولوريّ يحاول دفعه للسقوط فى هُوَّة يبلغ عمقها كيلومترين ، وهو يقود سيارة ذات (فرامل) مُعَطَّلة ..

كان موقفًا عسيرًا ، ولكن أعصاب (أدهم) الفولاذية لم تتوتَّر أو تتشنج .. وظل عقله يعمل بنفس الهدوء ..

لم يكن باستطاعته الاستمرار فى إقلال سرعته ، وإلَّا لحق به اللورى ، وقذفه فى الهُوَّة ، كما كان من الخطورة انطلاقه بالسرعة المطلوبة ، فوق هذا المنحنى الرهيب .. ولكن فرصة النجاة من المنحنى تفوق فرصة الإفلات من اللُّورى ؛ ولذا أعاد (أدهم) ذراع السرعة إلى حركته ، وضغط على دوَّاسة الوقود ، وانطلق بالسيارة ..

كانت المبادرة مفاجئة لـ (موريس) ، الذى صاح فى غضب :

ـــ يا للشيطان !!

ثم ضغط على دوَّاسة الوقود فى اللُّورى ، واندفع فى مهارة يتبع سيارة (أدهم) و (منى) ، وهو يصرخ فى حنق وغيظ .

وقرب نهاية المنحنى ، جلس رجل غليظ الملامح ، يمسك بندقية من النوع المزوَّد بمنظار تليسكوبى ، ويتمتم محدِّثًا زميله الذى يجلس إلى جواره :

ـــ أعتقد أن حذر (سونيا) هذه يبلغ حدّ المرض ، فهى تتوقَّع أن يفلت الضّابط المصرى من منحنى الموت بسيارته الخالية من (الفرامل) ، ومن (موريس) بسيارته اللُّورى ، وتطلب منا أن نطلق النار عليه .. يا له من تشاؤم !!

قال زميله فى هدوء :

ـــ إنه مجرد احتياط يا صديقى ، فهم يقولون إن هذا الضابط المصرى شيطان .

وفجأة انتصب الرجل غليظ الملامح ، ورفع بندقيته إلى كتفه ، ودسَّ عينه فى منظارها التليسكوبىّ ، وهو يصيح فى دهشة :

ـــ يا للشيطان !! لقد أفلت المصرى بالفعل .

قفز زميله صائحًا :

ـــ لا تتردَّد .. أطلق النار .

اعتصرت أصابع الرجل الغليظ زناد بندقيته ، وانطلقت رصاصة من فوَّهتها ، وانفجر إطار سيارة (أدهم) الأمامى إلى اليسار ، ودارت السيارة حول نفسها فى قوة وسرعة ، وانزلقت فوق الأرض المغطَّاة بالجليد ، واندفعت نحو الهاوية .. هاوية الموت .

* * *



وانفجر إطار سيارة (أدهم) الأمامى إلى اليسار ، ودارت السيارة حول نفسها فى قوة وسرعة ..

٦ ــ صراع الشياطين ..

أطلقت (منى) صرخة رعب عالية ، وأغلقت عينيها فى قوة ، وانكمشت فى مقعدها وهى تتوقَّع سقوطهما فى الهاوية ، وقبض (أدهم) بقبضتيه الفولاذيَّتين على عجلة القيادة ، وأدارها فى قوة ومهارة ، محاولاً تغيير اتجاه اندفاع السيارة .. ولو استشرنا خبيرًا من خبراء السيارات ، لقال إن هذا عمليًّا مستحيل بدون (فرامل) السيارة ، وهنا نجد الإجابة عن سبب تسمية (أدهم) بـ (رجل المستحيل) ، فقد جذب (فرامل) اليد ، وأدار مقود السيارة بحركة حادَّة قويَّة ، أدَّت إلى انزلاق السيارة فى اتجاه الجدار الجبلى المواجه للهُوَّة ، بحيث اصطدمت به صدمة قوية ، حطَّمت مقدمتها وزجاجها الأمامى ، الذى تناثر علىْ وجهى (أدهم) و (منى) ، ثم انزلقت موازية للجدار ، حتَّى توقَّفت على بعد سنتيمترات من الهُوَّة السحيقة .. وفى نفس اللحظة

رأى (أدهم) سيارة (موريس) اللُّورى تندفع نحو سيارتهما ، فى محاولة لدفعها فى الهُوَّة ....

انتزع (أدهم) مسدسه من جيب سترته فى سرعة البرق ، وأطلق رصاصاته على كابينة القيادة ، التى تحطَّم زجاجها ، وتلطَّخ بالدماء ، حينما أصابت الرصاصات رأس (موريس) فتراخت يده ، واندفع اللُّورى على غير هدى إلى الهاوية ، ثم انطلق فى الهواء بضعة أمتار ، قبل أن يسقط من ارتفاع كيلومترين إلى قاع الهاوية السحيقة ..

نظرت (منى) إلى (أدهم) فى رعب ، وصاحت :

ــ هل .. هل نجونا ؟

وفجأة .. اخترقت رصاصة زجاج السيارة الجانبى ، واستقرت فى ذراع (أدهم) ، الذى جذب (منى) فجأة إلى أسفل ، وصاح :

ــ يا إلٰهى !! لقد نسيت الوغد الذى أطلق النار على إطار سيارتنا .

اخترقت رصاصة أخرى جسم السيارة ، ومرقت فوق رأسيهما تمامًا ، وقالت (منى) :

ــ إن ذراعك تنزف بغزارة يا (أدهم) ، لابدَّ من تضميدها .

أجابها فى سخرية :

ــ وجبهتك كذلك بها جرح غائر يا عزيزتى ، ولكن ذلك الوغد لن يسمح لنا بالإسعافات الطبِّيَّة .

استقرت رصاصة ثالثة فى قاعدة السيارة ، ودوَّى صوتها فى أذنيهما ، فقالت (منى) وهى ترتجف :

ــ هل سنظل هكذا ؟

أجابها (أدهم) ، وهو يتحرَّك نحو باب السيارة الآخر :

ــ بالطبع لا يا زميلتى العزيزة .. من الواضح أن هذا الوغد يجلس إلى يسارنا .. سأحاول التسلل إليه من اليمين .

قالت فى جزع :

ــ ولكن الهاوية فقط إلى يميننا .

ابتسم وقال وهو يفتح الباب وينزلق خارجًا :

ــ اطمئنى يا عزيزتى .. أنا لا أنوى أبدًا اللَّحاق بصديقنا (موريس) فى القاع .

* * *

وضع الرجل الغليظ منظار البندقية على عينه ، وداعبت أصابعه الزِّناد ، وهو يقول :

ــ الأمر يحتاج إلى رصاصة أخرى فى مستوى مقبض الباب ، حتى نتأكَّد من مصرع هذا الضابط المصرى .

سأله زميله فى اهتمام :

ــ ألَمْ تتأكَّد من مصرعه بعد ؟

ضحك الغليظ ، وقال :

ــ فلنتبع الحذر البالغ .. يبدو أن الوسواس القهرى الذى يعذب الجميلة (سونيا) ، قد انتقلت عدواه إلىَّ أيضًا .

قال زميله فى سخرية :

ــ هل تعتقد أن فيلًا مثلك يمكن أن يصاب بـ .... ؟

بتر زميله عبارته فجأة ، وتأوَّه فى صوت مكتوم ، فقطَّب الغليظ حاجبيه ، وهو يستدير نحوه متسائلًا :

— هل أصابتك وعكة يا .....؟

وتوقَّفت الكلمات فى حلقه ، وتدلَّت فكّه السفلى فى بلاهة ، واتسعت عيناه ، حتى كادتا تشملان وجهه بأكمله ، فقد رأى أمامه (أدهم صبرى) مبتسمًا فى سخرية ، وتحت قدميه يرقد زميله مهشَّم الفك ، فاقد الوعى .

رفع الرجل الغليظ بندقيته فى سرعة نحو (أدهم) ، ولكنَّ هذا الأخير ركلها فى قوة وخفَّة ومهارة ، فأطاح بها بعيدًا ، ثم قفز إلى أعلى ، وتحرَّكت قدماه ، فركلتا الغليظ فى عنقه وأنفه ، وسالت الدماء منه تلوِّث فمه ، فزمجر فى غضب وشراسة ، واندفع نحو (أدهم) ، ودوَّى صوت طلق نارىّ ..

وتوقَّف الرجل الغليظ ، وجحظت عيناه وفتح فمه ، وكأنه يهم بالنطق ، ثم سقط وقد فارقته الحياة .. ومن خلفه رأى (أدهم) زميلته (منى) وهى تعدُو نحوه ، ومسدسها الصغير فى يدها تتصاعد من فوَّهته أبخرة طلق نارى ..

قفز إليها (أدهم) ، وسألها فى حنق :

— لِمَ أطلقت عليه النار ؟.. لم يكن هناك مبرِّر لذلك .

نظرت إليه (منى) فى دهشة ، وأعادت مسدسها إلى حقيبتها ، ومسحت الدماء التى تسيل من جرح جبهتها ، وقالت فى غضب :

— لقد ظننت أنك ستشكرنى .. فلقد أنقذت حياتك .

صاح (أدهم) فى غضب :

— أنقذت حياتى ؟!! .. هل تمزحين؟ . إنه رجل واحد ، وكنت أستطيع تحطيمه فى أقل من دقيقة .

صاحت فى غضب :

— بذراع مصابة .. لا أعتقد أيها العقيد ..

وفجأة جذبها (أدهم) من سُترتها بذراعه السليمة ، وصاح فى وجهها :

— اسمعى أيتها النقيب .. أنا أكره القتل .. أبغضه

إلا للضرورة القصوى ، وهذه الضرورة لا تتوافر إلَّا نادرًا ، وسأصفعك صفعة قوية ، إذا ما جرؤت مرة أخرى على التدخُّل بهذه الصورة .

نظرت إليه (منى) فى مزيج من الذُّعر والدهشة ، ثم تخلَّصت من قبضته فى عصبيَّة ، وابتعدت بضع خطوات ، وظلَّت على صمتها ، على حين قال هو وكأنه لم يعنِّفها منذ لحظة واحدة :

— هيَّا نبحث عن السيارة التى أتى بها هذان الشيطانان أيتها النقيب .. فلا ريب أنهما يخفيانها قريبًا .. وسنضطر إلى تأجيل زيارتنا لمسيو (شيفاليه) إلى ما بعد تضميد جروحنا .

قالت فى لهجة رسمية ، دون أن تلتفت إليه :

— أمرك يا سيادة العقيد .. أنت الرئيس هنا .

* * *

نظرت (سونيا جراهام) فى ساعتها بقلق ، وقالت وهى تضغط أصابعها فى عصبيَّة :

— لقد تأخَّر الوقت كثيرًا .. كان من المفروض أن أتلقَّى رسالة من (موريس) ، تفيد مصرع (أدهم صبرى) ، منذ ساعة ونصف الساعة على الأقل .

فتح (ألان) فمه ليتكلَّم ، ولكن جرس الهاتف ارتفع فى تلك اللحظة ، فمدَّت (سونيا) يدها فى لهفة ، والتقطت السمَّاعة ، ووضعتها على أذنها صائحة :

— هنا (سونيا جراهام) .. ماذا تمَّ فى الأمر ؟

جاءها صوت (موريس) متحشرجًا ، وهو يقول :

— لا شىء .. لقد أفلت الشيطان المصرى ، بعد أن أصابنى برصاصتين فى رأسى ، مزَّقت إحداهما جبهتى ، وكادت الثانية تهشِّم جمجمتى ، كما سقط اللُّورى فى الهاوية ، ونجحت أنا فى التعلُّق بجزء من الصخور فى آخر لحظة .. لقد نجوت بمعجزة .

امتقع وجه (سونيا) ، وعضَّت على شفتيها فى غيظ ، وقالت :

— كيف أفلت من هذه المصيدة ؟ .. وأين ذهب ؟

قال (موريس) بصوته المتحشرج :

ــ إنه شيطان يا سيِّدتى .. شيطان مريد .. ولست أدرى أين ذهب .

صاحت (سونيا) فى غضب :

ــ احضر إلى هنا فى الحال يا (موريس) .. سنعد خطةً لا تقبل الفشل .. لابدَّ من التخلُّص من هذا الشيطان .

ثم وضعت سماعة الهاتف ، وارتجفت أصابعها وهى تشعل سيجارتها ، فقال (ألان) :

ــ أعتقد أنه من الأفضل أن نذهب إلى القاعدة السِّرِّيَّة ، فهذا هو المكان الآمن الوحيد .

غمغمت (سونيا) فى صوت خافت ، يملؤه الأسف :

ــ نعم يا (شيفاليه) .. سنذهب إلى هناك ، ونحتمى برجالك .

ثم برقت عيناها غضبًا ، وهى تستطرد فى عنف :

ــ ولكننى سأقضى على هذا الشيطان المصرى .. سأمزِّقه إربًا .. حتى ولو كان هذا آخر عمل فى حياتى .

* * *

٧ ــ تحت الثلوج ..

نظر (شيفاليه) فى غضب إلى وجه (موريس) ، الذى تغطِّى معظمه بالضِّمادات ، وقال وهو يطفئ سيجارته فى حنق :

ــ من يراك يظن أنك وقفت فى طريق دبابة حربية يا (موريس) .

قال (موريس) بصوته المتحشرج :

ــ أنا نفسى لا أصدِّق أننى نجوت يا سيِّدى .

أشار (شيفاليه) إلى هليوكوبتر ، تقف على بعد أمتار قليلة ، وقد دارت مروحتها ، وقال :

ــ هيَّا إذن .. إننا ننتظرك .. سنذهب إلى القاعدة السرِّيَّة .

فتح (موريس) عينيه فى دهشة ، وتمتم :

ــ القاعدة السرِّيَّة ؟! .. ولِمَ يا سيِّدى ؟



أشار (شيفاليه) إلى هليوكوبتر ، تقف على بعد أمتار قليلة ، وقد دارت مروحتها ..

قال (شيفاليه) وهو يتحرَّك نحو الهليوكوبتر :

ــ إنه المكان الوحيد الآمن يا (موريس) .. لقد اتفق رأيى و (سونيا) على ذلك .. فالمخابرات المصرية و (أدهم صبرى) بالطبع يعلمون كل شىء عن مقرّنا هذا ، فى حلبة التزحلق كما يعرفون الاسم المستعار الذى أنتحله ، ولكنهم لم يعلموا بعد بأمر منظمة الخنجر الفضّىّ التى أنشأتها ، ولا بوجود قاعدتنا العسكرية السرِّيَّة .

برقت عينا (موريس) ، وغمغم فى صوت خافت :

ــ تمامًا كما كان الأمر فى (كندا) .

قفز الاثنان داخل الهليوكوبتر ، وابتسمت (سونيا) وهى تتطلّع إلى ضمادات وجه (موريس) ، وقالت :

ــ تقبّلْ أسفى عمّا أصابك يا (موريس) .

ابتسم وهو يقول :

ــ بل تهنئاتك يا سيِّدتى ، على نجاتى من موت محقَّق .

ارتفعت بهم الهليوكوبتر ، وقالت (سونيا) :

ــ هل سنبتعد كثيرًا ؟

أجابها (ألان) وهو يشعل سيجاره ، وينفث دخانه فى عظمة :

ــ لا ليس كثيرًا .. مائة كيلومتر فقط ، ولكننا لن نستطيع الوصول بدون الهليوكوبتر ، فالمكان مرتفع للغاية .

سألته فى دهشة :

ــ هل تقيم قاعدة عسكرية فوق جبل ؟

ضحك فى غرور ، وقال :

ــ دهشتك تؤكد حسن اختيارى يا جميلتى ، فلن يفكِّر أحد على الإطلاق ، فى أن قمَّة الألب تضم أكبر قاعدة عسكرية سرِّيَّة فى العالم .

ابتسمت (سونيا) ، وقالت وهى ترفع أحد حاجبيها وتخفضه :

ــ أنت عبقرى يا (شيفاليه) .

غمغم (موريس) ، وهو يشيح بوجهه بعيدًا :

ــ نعم .. عبقرية فذَّة .

صاحت (سونيا) وهى تعتدل فى مقعدها ، وتدُس سيجارة رفيعة بين شفتيها الغليظتين :

ــ وكم كلّفك هذا يا عزيزى (شيفاليه) ؟

انتفخت أوداجه ، وهو يقول :

ــ سأترك لك الحكم على ذلك يا عزيزتى (سونيا) .. استعدّى .. فقد وصلنا إلى منطقة نفوذى .

اتسعت عينا (سونيا) دهشة ، حينما انزاح جزء ضخم من الجبل ، وعَبَرت الهليوكوبتر إلى داخله ، حيث طالعها مهبط ضخم ، يتسع لعشر طائرات على الأقل ، ويموج بالحركة وبالرجال المسلحين ، وهبطت الهليوكوبتر فى هدوء ، وأغلق المدخل السرّىّ خلفها فى سرعة ودِقَّة .

توقَّفت مراوح الهليوكوبتر ، وهبط منها (ألان) ، وتبعته (سونيا) ، ثم (موريس) ، وصاحت (سونيا) فى انبهار :

ــ يا للرَّوعة !! إنها قاعدة عسكرية متكاملة ، لانملك مثلها فى دولتنا .. إنك تمتلك طائرات من نوع الـ (ف ــ ١٦) أيضًا .

هزَّ كتفيه فى غرور ، ونفث دخان سيجارته قائلًا :

ــ إننى صديق لمدير مبيعات شركة (نورثروب) لصناعة الأسلحة ، ولقد خصَّنى بهذه الصفقة مقابل عمولة تبلغ مليون دولار .

ثم ألقى ببعض الأوامر إلى رجاله ، وعاد يلتفت إليها قائلًا :

ــ لدينا أيضًا دبابات ومدرعات وعربات مصفَّحة .. كل ما يكفى لتكوين جيش صغير يا عزيزتى .. كما أن لدينا عددًا من العلماء ، يعكفون منذ ثلاثة أسابيع على تركيب مفاعل نووى ، يساعدنا على صنع قنبلة ذرِّيَّة جديدة .

صاحت (سونيا) فى انفعال :

ــ عجبًا يا (شيفاليه) .. أنت تمتلك دولة كاملة تحت الثلوج .. ولكننى أعجب كيف تعجز بكل هذا عن هزيمة رجل مثل (أدهم صبرى) ؟

نظر (ألان) فى ساعته ، ثم ابتسم فى خبث قائلًا :

ــ أعتقد أن هذه مهمتك يا قائدة الجيوش ، حتى السادسة من مساء الغد ، ومازلنا فى الحادية عشرة فقط .

شحب وجه (سونيا) ، وقالت :

ـــ ينبغى أن تعاوننى يا (شيفاليه) ، فهو عدوّنا المشترك .

تدخّل (موريس) فجأة ، قائلًا :

ـــ أعتقد أن لدىَّ خطَّة مضمونة ، ولكنها تحتاج إلى المال .

التفتَ إليه (ألان) و (سونيا) ، وسأله الأوّل فى اهتمام :

ـــ أفصح عمّا لديك يا (موريس) .

قال (موريس) فى هدوء :

ـــ فى (سويسرا) جماعات تعرف باسم (العيون المتيقّظة) ، مهمتها مراقبة ومطاردة كل شخص له ثمن ، وعدد هذه الجماعات أكبر مما يمكن تصوّره ، ولو أننا دفعنا لهم مليون دولار مثلًا ، فسينبشون الأرض بحثًا عن (أدهم صبرى) هذا .

قال (ألان) فى تشكُّك :

ـــ ولكنهم لا يعرفونه .

صاح (موريس) فى حماس :

ـــ سنعطيهم الصورة التى تحتفظ بها السيِّدة (سونيا) ، وسيطبعون منها آلاف الصور فى أقل من ساعة واحدة .. صدِّقنى يا سيِّدى .. سيقتنصونه فى أقــل من خمس ساعات .

صاحت (سونيا) فى انفعال :

ـــ إننى أوافق على هذه الخطَّة .

وأسرعت (سونيا) تناوله صورة (أدهم) ، التى تحتفظ بها ، على حين قال (ألان) :

ـــ مهلًا يا (سونيا) .. من سيدفع هذه الدولارات المليون ؟

التصقت به (سونيا) ، وقالت فى دلال :

ـــ أنت بالطبع يا عزيزى .. ألا أستحق عندك مليون دولار ؟

نظر إليها (ألان) فى سخرية ، ثم قال :

ـــ حسنًا يا (سونيا) .. سأدفع المبلغ .. ليس من أجلك ، ولكن من أجل التخلُّص من هذا الشيطان ، الذى يثير قلقى بأكثر مما تفعل دولة بأكملها .

ابتسم (موريس) ، وقال :

ـــ حسنًا يا سيِّدى .. اعطنى شيكًا بالمبلغ ، وسأحصل عليه ، وأدفعه لجماعة (العيون المتيقّظة) .

قال (ألان) ، وهو يخرج دفتر شيكاته :

ـــ فليكن يا (موريس) .. سأخاطر بالمبلغ ، ولكننى سأتصل أولًا بمدير بنك (كريدى سويس) ، وأؤكد له أمر الصرف ، وإلَّا تظاهر بعدم معرفته لى ، كما تقضى عادة هذه البنوك السرِّيَّة .

ثم وقَّع الشيك ، وناوله إلى (موريس) ، الذى قال فى هدوء :

ـــ سأذهب بالهليوكوبتر يا سيِّدى ، وأعدك أن ينتهى أمر (أدهم صبرى) قبيل فجر الغد .

* * *

قاد (موريس) سيارة (ألان) المرسيدس إلى داخل مدينة (برن) ، وتوجَّه فى ثبات إلى وسط المدينة ، حيث

بنك (كريدى سويس) ، فأوقف السيارة وتوجَّه إلى البنك ، وطلب مقابلة مديره ، الذى استقبله فى ترحاب ، وتطلَّع فى شك إلى الضّمادات التى تغطِّى وجهه ، ثم إلى الشيك ، وقال :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. إن المبلغ ضخم ، حتى أننى سأضطر للاتصال بمستر (ألان) مرة ثانية للتأكُّد .

قال (موريس) فى غضب :

ـــ ألَمْ يتَّصل بك منذ قليل ؟

رفع المدير سماعة الهاتف ، وقال :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. لن يضيرك هذا الاتصال .

راقب (موريس) أصابع المدير وهو يضغط أزرار الهاتف ، وينتظر قليلًا قبل أن يبتسم ويقول :

ـــ مرحبًا يا مسيو (شيفاليه) .. لقد وصل السيِّد الذى أخبرتنى عنه ، ولكنه يغطِّى نصف وجهه تقريبًا بالضّمادات و ....

وزوَى ما بين حاجبيه ، وكأنه يستمع إلى معلومات هامَّة ، ثم مال نحو (موريس) ، وسأله فى اهتمام :

ـــ أين يقطن مسيو (ألان) الآن يا سيِّد (موريس) ؟

ابتسم (موريس) ، وأجابه فى هدوء :

ـــ تحت الثلوج .

ابتسم المدير ، وعاد يتحدَّث فى الهاتف قائلًا :

ـــ لقد أجاب الإجابة نفسها يا مسيو (شيفاليه) .. نعم .. إنه هو الرجل نفسه .

قال (موريس) ، وهو يشير إليه إشارة غير ذات معنى :

ـــ اطلب منه أن يؤكد لك أننى ذراعه اليمنى .

تلقَّى المدير إجابة وافية ، فوضع السماعة وهو يقول :

ـــ معذرة يا سيِّد (موريس) .. لقد طلب منِّى مسيو (شيفاليه) أن أعتبرك وكأنك هو تمامًا .. وهذا يشرِّفنا ، ولكنها إجراءات الأمن .

هزَّ (موريس) كتفيه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـــ لا عليك يا سيِّدى المدير .. سنلتقى كثيرًا فيما بعد .. وستجد الوقت للاعتذار عن هذا .

* * *

٨ ـــ رسول إلى مصر ..

التفتت (منى) تتطلَّع إلى الرجل الذى دخل غرفتها ، وقد تحرَّكت يدها نحو مسدسها المستقر فوق سريرها ، ثم لم تلبث أن سحبت يدها الخالية ، وأعادتها إلى جوارها ، وابتسمت وهى تقول :

ـــ أهو أنت يا (أدهم) ؟ .. ماذا فعلت مع (شيفاليه) و (سونيا) ؟ .. إننى قلقة عليك للغاية منذ ذهبت إليهما .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يحلّ الضِّمادات عن وجهه :

ـــ لقد تمكَّنت من خداع (سونيا جراهام) ، برغم مهارتها الفائقة فى التعرُّف علىَّ فى كل مرة .. لقد خدَعتها الضِّمادات التى أخفيت بها وجهى .

ضحكت (منى) ، وقالت :

ـــ بل خدعتها جرأتك يا سيِّدى .. إنها لم تتصوَّر إقدامك على مثل هذه الخطوة .



التفتت (منى) تتطلَّع إلى الرجل الذى دخل غرفتها ،
وقد تحرَّكت يدها نحو مسدسها المستقر فوق سريرها ..

قال (أدهم) ، وهو يخرج من جيبه آلة تصوير صغيرة :

ـــ المهم يا عزيزتى أننى تمكَّنت من تصوير الشيك الذى أعطانى إيَّاه (شيفاليه) .

سألته (منى) فى دهشة :

ـــ أى شيك ؟

ضحك وهو يقول :

ـــ سأخبرك بكل شىء يا عزيزتى .. المهم أننى أريدك الآن أن تسافرى إلى القاهرة .

فتحت عينيها عن آخرهما فى دهشة ، وصاحت :

ـــ أسافر إلى مصر ؟! .. ماذا تقول يا (أدهم) ؟

قال وهو يناولها فيلمًا صغيرًا من نوع (الميكرو فيلم) :

ـــ لابدَّ من ذلك يا عزيزتى .. ستحملين هذا الفيلم إلى صديقنا (قدرى) البدين .. أستاذ فن التزوير فى مخابراتنا ، وعليك بالعودة بعد يوم واحد ومعك الشيك الذى سأطلبه منه .

اعتدلت ، وسألته فى اهتمام :

ــ أريد أن أفهم ، ماذا تنوى يا سيادة العقيد ؟

قال (أدهم) ، وهو يبتسم فى سخرية :

ــ لقد وجدت أن (ألان شيفاليه) ، ينفق أمواله فى أحلام وهميَّة سخيفة يا عزيزتى ؛ ولذا قرَّرت أن أحجر على هذه الأموال ، كخطوة أولى لتدمير هذا الوغد .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى الرابعة صباحًا ، حينما دقَّ جرس الهاتف فى القاعدة السرِّيَّة ، وقفزت (سونيا) تنتزع سماعته ، وتضعها على أذنها صارخة :

ــ ماذا حدث يا (موريس) ؟ .. هل تخلَّصتم منه ؟

أجابها (أدهم) المتنكِّر فى هيئة (موريس) ، مقلِّدًا صوت وأسلوب هذا الأخير ببراعة :

ــ ليس بعد يا سيِّدتى ، ولكننا أحكمنا نطاقنا حوله ، وسنوقع به بعد خمس ساعات على الأكثر .

تناول (ألان) منها مسماع الهاتف ، وقال :

ــ هاللو (موريس) .. لِمَ تتحدَّث فى هذا الهاتف ؟ .. أنت تعلم أنه هناك هاتف خاصّ لاسلكى أيضًا .

قال (أدهم) فى بساطة :

ــ لقد فضَّلت الاتصال بهذا الهاتف .. المهم أننا كدنا نوقع بـ (أدهم صبرى) .. وسأحضر لك جثته قبل السادسة مساءً .

سأله (ألان) :

ــ هل أعطيت جماعة (العين المتيقِّظة) المليون دولار كلها ؟

ضحك (أدهم) ، وقال :

ــ نعم يا سيِّدى .. لاتقلق .. إنهم سيؤدُّون عملًا يساوى أضعاف هذا المبلغ .

انتهى الحديث ، ووضع (ألان) سماعة الهاتف قائلًا :

ــ يبدو أن (موريس) واثق مما يفعل ، ولكنه يتحدَّث بلهجة تختلف عما اعتاده معى .

تنبَّهت (سونيا) فجأة إلى هذه العبارة ، فالتفت إلى (ألان) فى حدَّة وسألته :

ــ هل تعنى أنه على غير ما تألفه ؟

مطَّ شفتيه ، وقال :

ــ ليس بصورة كاملة ، ولكن هناك بعض التغير ولاشك .

اتسعت عينا (سونيا) فجأة ، وغمغمت :

ــ يا إلهى !! مستحيل .

ودارت أمام عينها عدة مشاهد وهميَّة .. الضِّمادات التى تغطِّى نصف وجه (موريس) .. دهشته حينما سمع باسم القاعدة السرِّيَّة .. الخطَّة العجيبة التى وضعها .. استخدامه لهاتف آخر غير المألوف .. وقفزت فجأة صائحة :

ــ لقد خدعَنا يا (شيفاليه) .. خدَعَنا (أدهم صبرى) .

حدَّق فى وجهها مندهشًا ، وصاح :

ــ ماذا تعنين أيتها المعتوهة ؟

صرخت (سونيا) ، وجسدها الضئيل يرتعد غضبًا :

ــ (موريس) يا (شيفاليه) .. إنه ليس (موريس) الحقيقى .. إنه مزيَّف .. هل تفهمنى ؟ .. إنه (أدهم صبرى) ، وقد خدعنا جميعًا .

* * *

فى الواحدة والنصف تمامًا ، خرجت (منى توفيق) من مطار (برن) ، واستقبلها (أدهم) المتنكِّر فى هيئة (موريس) ، فصافحها فى مرح قائلًا :

ــ حمدًا لله على سلامتك أيتها النقيب .. لا ريب أنها رحلة متعبة للغاية .

زفرت (منى) ، وقالت وهى تندس على المقعد المجاور له فى السيارة :

ــ وأى تعب .. تصوَّر أن أسافر إلى القاهرة وأعود إلى (برن) فى عشر ساعات فقط ..

انطلق بالسيارة ، وهو يسألها فى اهتمام .

ــ المهم أن تكون رحلتك ناجحة .

فتحت حقيبتها ، وتناولت ورقة مطويَّة أعطته إيَّاها ، وهى تقول مبتسمة :

— ها هو ذا .. مع تحيات (قدرى) .. لقد أجلسنى إلى جواره ساعتين كاملتين ، وهو يعد هذا الشيك .

تناول (أدهم) الشيك ، وألقى عليه نظرة فاحصة ، وابتسم فى إعجاب ، وقال :

— رائع هو (قدرى) هذا ، ولولا بدانته المفرطة ، لقلت إنه أروع رجال مخابراتنا .

قالت (منى) ، وهى تصفف شعرها فى عناية :

— تصوَّر أننى وجدت لديه شيكات أصلية لكل بنوك سويسرا .. فقط أضاف إلى شيك (كريدى سويس) العبارة المطلوبة ، بخط لا يمكن حتى لـ (ألان شيفاليه) نفسه أن ينكر أنه خطه ، ثم أضاف التوقيع الأنيق .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— رائع يا زميلتى العزيزة .. كل ما نحتاج إليه إذن هو مكالمة تليفونية صغيرة لمدير البنك ، وبعدها يصبح صديقنا (شيفاليه) مفلسًا .

* * *

٩ — فخ الشيطان ..

فى تمام الرابعة والنصف عصرًا ، عاد رنين الهاتف يرتفع فى القاعدة العسكرية السِّرِّيَّة ، وفى هدوء رفعت (سونيا) السماعة ، ووضعتها على أذنها ، وسألت :

— هنا (سونيا جراهام) .. من المتحدِّث ؟

جاءها صوت (أدهم) قائلًا :

— أنا (موريس) .. لقد نجحنا وتخلَّصنا من الشيطان المصرى .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

— هذا رائع يا (موريس) .. أسرع إلى هنا ، فلدَّى مكافأة كبرى لك .

ولم تكد تضع سماعة الهاتف ، حتى سألها (ألان) :

— ماذا تنوين الآن ؟

قالت (سونيا) فى خبث :

— سأعطيه الأمان حتى يصل إلى هنا يا عزيزى (شيفاليه) ثم ....

ولم تتم عبارتها ، ولكنه فهم نهايتها ، فقال :

— وهل تعتقدين أنه سيحضر مرة ثانية ؟

ضحكت فى ثقة ، وهى تقول :

— نعم يا عزيزى .. سيحضر .. إنه مغرور وواثق بقدراته ، إلى درجة ستدفعه للحضور ، فى محاولة لتدمير قاعدتك هذه .

برقت عينا (ألان) فى شراسة ، وقال :

— مرحبًا به إذن .. المهم هو حسن استقباله .. وسأنعم برؤيته وهو يلقى مصرعه على يديك يا جميلتى .

* * *

هبطت الهليوكوبتر التى تقل (أدهم صبرى) ، فى القاعدة العسكرية السِّرِّيَّة فى قمة الألب ، وقفز هو منها فى خفة ، وصاح وهو يتقدم نحو (ألان) و (سونيا) :

لقد حققنا حلم الجميع أخيرًا ، وقضينا على الشيطان المصرى .

وفجأة رفعت (سونيا) فى وجهه مسدسًا صغيرًا ، وهى تقول فى سخرية :

— تقصد أننا سنتخلَّص منه توًّا يا عزيزى (أدهم) .

توقَّف (أدهم) فى دهشة ، وصاح دون أن يتخلَّى عن صوت (موريس) ولهجته :

— ما هذه الحماقة ؟ .. هل نسيتمونى ؟

أشارت (سونيا) إلى رجال (ألان) ، قائلة :

— هلَّا ساعدتموه على نزع هذه الضمادات التى تخفى نصف وجهه ، حتى ينكشف أمره ؟

صاح (أدهم) ، متظاهرًا بالغضب :

— هل ستسمح لها بهذه السخافات يا مسيو (شيفاليه) ؟ . إنها ستلوِّث جروحى بأسلوبها الأحمق هذا .

تردَّد (ألان) لحظة ، وقال وهو ينقل بصره بين (سونيا) و (أدهم) :

— تحمَّل قليلًا يا (موريس) .. لابدَّ أن نثبت لها خطأ نظريتها .

وفجأة تحوَّل صوت (موريس) الأجش إلى صوت ساخر ، ميَّزته (سونيا) على الفور ، حينما قال في تهكُّم :

ـــ إذن فقد كشفت الأمر بذكائك ، يا عزيـــزتي (سونيا) .

اتسعت عينا (ألان) دهشة ، وكأنه لم يكن يتوقَّع الأمر ، على حين صرخت (سونيا) في فرح وصاحت :

ـــ أرأيت يا (شيفاليه) ؟.. إنه هو بعينه (أدهم صبري) .

نزع (أدهم) الضمَّادات من فوق وجهه ، وألقى بها بعيدًا ، وهو يقول في سخرية :

ـــ هل يسعدك انتصارك إلى هذا الحدّ يا عزيـزتي (سونيا) ؟

صوَّبت (سونيا) مسدسها إليه ، وصاحت في فرح عارم :

ـــ اسخر كما شئت يا (أدهـم) .. إنها آخر مرة تسخر فيها .

قال (أدهم) في هدوء :

ـــ لحظـــة يا عزيـــزتي (سونيـــا) .. لديَّ ما يهم (شيفاليه) أن يعرفه .

صاحت في سخرية ، وهي تسحب صمام الأمان بمسدسها :

ـــ لا تحاول خداعي يا مستر (أدهم) .. لست على استعداد لإضاعة مثل هذه الفرصة .

أبعد (ألان) مسدسها ، وهو يقول في قلق :

ـــ لحظة يا (سونيـــا) .. ماذا لديك يا مستـــر (صبري) ؟

صاحت (سونيا) في غضب :

ـــ هل ستسمح له بخداعك ؟

قال (شيفاليه) في حزم :

ـــ لن يضيرنا الاستماع إليه .. إنه في قبضتنا ، ولن يفلت لمجرَّد أننا استمعنا إليه .

قالت (سونيا) في غضب :



أبعـد (ألان) مسدسـها ، وهـو يقـول في قلـق :
ـــ لحظة يا (سونيا) .. ماذا لديك يا مستر (صبري) ؟

ـــ حسنًا يا (شيفاليه) .. سأمهله دقيقتين فقط .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

ـــ معذرة يا جميلة الجميلات .. ربما قرَّر (شيفاليه) الاستماع فترة أطول ، فهو أمر يتعلَّق بأمواله .

زوى (ألان) ما بين حاجبيه ، وسأله في لهفة وقلق :

ـــ ماذا تعني يا مستر (أدهم) ؟

قال (أدهـم) ، في لهجة تنطوي على التحـــدِّي والسخرية في آن واحد :

ـــ أعنـــي أنك لن تحصل على بنس واحـــــد من دولاراتك ، التي تقارب المليارين لو أنك قتلتني .

شحب وجه (ألان) ، وعجز عن النطق ، على حين سألته (سونيا) :

ـــ ماذا تعني يا (أدهم) ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـــ أعني أن السيِّد (شيفاليـه) لم يعد يملك بنسًا واحدًا .. إنه مفلس تمامًا .

صاح (ألان) فى غضب :

ـــ هل جننت أيها الشيطان ؟.. إننى أغنى رجل فى العالم .

ضحك (أدهم) ، وقال :

ـــ لقد كنت كذلك يا مستر (شيفاليه) .. أما الآن فأنت ملياردير سابق .

أسرع (ألان) يرفع سماعة الهاتف ، وطلب رقم بنكه بأصابع مرتجفة ، ولم يكد يسمع صوت مديره ، حتى سأله فى صوت مرتعد :

ـــ مرحبًا يا مستر (جون) .. أنا (ألان شيفاليه) .

ثم تردَّد لحظة ، قبل أن يسأله بصوت زاد ارتعاده :

ـــ كم .. كم يبلغ رصيدى لديكم ؟

أجابه مدير البنك فى دهشة :

ـــ لقد أغلقت رصيدك منذ ساعتين يا مسيو (شيفاليه) ، وأخذت نقودك كلها ، حوالى المليارين .

شحب وجه (ألان) ، وصاح :

ـــ كيف تصرف كل هذا المبلغ دون إذن شفهى منّى ؟

قال مدير البنك ، فى دهشة متزايدة :

ـــ ولكننى فعلت بالفعل يا مسيو (شيفاليه) ، ومكالمتك مسجَّلة لدينا كعادة البنك فى صرف المبالغ الضخمة .. لقد أتى مستر (موريس) وهو يحمل شيكًا من شيكاتك ممهورًا بتوقيعك ، وقد فحصه خبراء البنك ، وأقرُّوا بصحَّته ، وقمت أنا على الفور بالاتصال بك ، فأيَّدت الصرف ، ولم يكن أمامنا سوى الموافقة .

انهار (ألان) على المقعد المجاور للهاتف ، وأعاد سماعته إلى موضعها ، ورفع رأسه فى انهيار نحو (أدهم) ، وسأله :

ـــ كيف فعلت هذا ؟

قال (أدهم) فى هدوء :

ـــ سلك صغير يضاف إلى الكابل الرئيسى ، فيتلقَّى أحد زملائى المكالمة بدلًا منك .

سأله (ألان) فى ضعف وتخاذل :

ـــ وماذا تطلب مقابل إعادة أموالى ؟

رفعت (سونيا) مسدسها فى سرعة ، وهى تصرخ :

ـــ لا .. لن أضيع هذه الفرصة أيضًا .

قفز (أدهم) جانبًا ، متفاديًا الطلق النارى الذى أصاب أحد رجال الحرس ، ثم ابتسم فى سخرية ، حينما ارتفعت فوَّهات المدافع الرشاشة نحو (سونيا) ونحوه ، وسمع (سونيا) تقول فى غيظ :

ـــ توقَّفوا أيها الأغبياء .. إنها فرصة مثالية .

قفز (ألان) ، وانتزع مسدس (سونيا) ، وهو يقول :

ـــ لن تقتلى (أدهم صبرى) قبل أن أستعيد أموالى يا (سونيا) .. إنها ملياران من الدولارات .

صاحت (سونيا) ، وهى تبكى :

ـــ لا .. لا تضيع هذه الفرصة من أجل بضعة دولارات .

صرخ (ألان) فى غيظ :

ـــ هل تسمين مليارى دولار بضعة دولارات ؟

تأمَّلت (سونيا) (أدهم) فى حقد ، ثم قالت فى بطء :

ـــ حسنًا يا (شيفاليه) .. لدىَّ طريقة تجبر (أدهم) على الاعتراف بمكان نقودك ، شريطة أن تسلِّمه لى بعد ذلك .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـــ هل تتصوَّرين أنه بإمكانك انتزاع اعتراف منِّى يا (سونيا) .

قالت (سونيا) ، وهى تبتسم ابتسامة غامضة :

ـــ بل أنا واثقة من ذلك يا (أدهم) .

سألها (ألان) فى اهتمام :

ـــ وكيف تفعلين ذلك يا (سونيا) ؟

قالت وهى تبتسم بشكل أشد غموضًا :

ـــ سترى يا (شيفاليه) .. سترى .

ثم استدارت إليه ، وقالت :

ـــ المهم أن أجتمع بك وحدك نصف ساعة فقط .

وعـادت تنظر إلى (أدهـم) ، وتبتسم فى مكر مستطردة :

ــ بعدها سيتحدَّد مصير (أدهم صبرى) نهائيًا .

* * *

١٠ ــ الصفقة ..

تحرَّك (ألان) حول مكتبه فى عصبية ، وأخذ يحاول إشعال سيجاره الفاخر بأصابعه المرتعدة ، ولكن قداحته رفضت أن تنصاع لضغطاته ، فألقى بها بعيدًا فى حنق ، ثم أعقبها السيجار نفسه ، وهو يصيح فى وجه (سونيا) :

ــ ها نحن أولاء وحدنا يا (سونيا) ، ولكننى أحب أن أحذِّرك أننى لن أتخلَّى عن (أدهم صبرى) هذا ، قبل أن أسترجع أموالى .

قال (سونيا) فى هدوء :

ــ لن يخبرك (أدهم) بمكان أموالك ، مهما فعلت به يا (شيفاليه) .. إنه ذكىّ إلى درجة تكفيه لمعرفة مصيره فور اعترافه بمكان النقود ، وهو يعلم جيِّدًا أنها الشىء الوحيد الذى يجبرك على الإبقاء عليه .

ضرب (ألان) سطح مكتبه فى عصبية ، وصاح :

ــ اسمعينى يا فتاة (الموساد) .. فليذهب جهاز مخابراتك إلى الجحيم .. بل ولتذهب دولتك كلها إليه .. أنا مستعد الآن لأن أخرج (أدهم صبرى) من هنا على الرُّحب والسعة ، وأهديه طائرة كاملة أيضًا لو أنه أعاد إلىَّ أموالى .. هل تفهمين ؟

أشعلت (سونيا) إحدى سجائرها الرفيعة ، ونفثت دخانها فى هدوء وهى تقول :

ــ أنت تتخلَّى عنا إذن يا (شيفاليه) .

صاح فى عناد :

ــ وأتخلَّى عن العالم أجمع فى سبيل استعادة أموالى .

وفجأة أخرجت (سونيا) من طيَّات ثوبها خنجرًا فضيًّا صغيرًا ، أشهرته فى وجه (ألان) ، وهى تقول فى برود شرس :

ــ إنك لم تترك لى الخيار إذن .

تراجع (ألان) فى ذعر ، وصاح :

ــ لن يمكنك ذلك .. سيمزِّقك رجالى إربًا .. ثم إنك تستخدمين أحد خناجرنا .

ضحكت (سونيا) فى سخرية رقيقة ، وقالت :

ــ هل نسيت أننى أقود جيشك الخاص هذا حتى السادسة ؟ .. إننا بعد فى الخامسة والثلث .

صاح (ألان) وهو يرتجف :

ــ لا يمكنك أن تقودى جيشى فى وجودى .. هذا غير منطقى .

ضحكت (سونيا) فى قسوة ، وقالت وهى تقترب منه :

ــ أوافقك أن وجودك غير منطقى ؛ ولذا سأتخلَّص منك يا عزيزى (شيفاليه) .

صرخ (شيفاليه) وقفز نحو مكتبه ، محاولاً الضغط على جهاز الإنذار السِّرِّىّ .. ولكن (سونيا) قفزت فى رشاقة ، ومزَّقت لحم ذراعه بضربة ماهـرة من نصل الخنجر .. واندفعت الدماء من جرح (ألان) ، وتراجع فى رعب وهو يقول فى توسُّل وضراعة :

ــ لا يا (سونيا) .. أرجوك .. سأمنحك نصف ثروتى و ....



وقفز نحو مكتبه ، محاولًا الضغط على جهاز الإنذار السرى ..
ولكن (سونيا) قفزت فى رشاقة ، ومزقت لحم ذراعه بضربة ماهرة ..

وقبل أن يتمّ عبارتـه ، مزّقت (سونيـا) صدره بالخنجر .. وحينما جحظت عيناه رعبًا ، انغرز الخنجر فى قلبه بلا رحمة ..

لم يتصوَّر (ألان) لحظة ، أن تُقدِم (سونيا) الجميلة الرقيقة الناعمة على هذا العمل الوحشىّ الدموى .. ولم يجد الوقت الكافى لاستيعاب فعلتها الشرسة .. فقد انكفأ على وجهه ، وفاضت روحه فى الحال ..

مسحت (سونيا) خيوط الدم التى لوّثت ذراعها ، وثوبها الأنيق ، وابتسمت فى شراسة وهى تقول لنفسها :

ــ أخيرًا يا (أدهم صبرى) .. لم يعد هناك ما يحول بينى وبينك .

* * *

سار (أدهم صبرى) فى خطوات هادئة ثابتة ، داخل الممر الواسع المفضى إلى الغرفة المزمع سجنه فى داخلها ، وأمامه جنديَّان مسلَّحان بالمدافع الرشاشة يقودانه ، وخلفه مثلهما يحرسانه ، و (أدهم) يتحرَّك فى بساطة وعيناه تجُولان لدراسة المكان بدقة ..

كان الممر منحوتًا داخل الجبل ، ومبطنًا بالألياف الزجاجية اللامعة المصقولة ، ومضاءً جيِّدًا ، على حين تتوزع فيـه الحجرات بشكل منظم للغاية ، وبعد مائة متر تقريبًا توقَّف الحرَّاس الأربعة ، وفتح أحدهم باب إحدى الحجرات ، وأشار إلى (أدهم) بالدخول ..

وتحرَّك (أدهم) ثلاث خطوات ، وكأنه يطيع الأوامر باستسلام ، ولكن هيهات .. فهو يعلم جيِّدًا أنهم لو سجنوه داخل هذه الغرفة ستفشل خطته تمامًا ؛ ولذا كان لزامًا عليه أن يتحرَّك ... وتحرَّك ..

وفى اللحظة التى بدأ فيها حركته كان إلى يمينه جنديَّان وإلى يساره مثلهما .. وفوَّهات المدافع الرشاشة الأربعة موجَّهة إليه ، فتراجع فجأة إلى الخلف ، وقبض على ماسورتى المدفعين الخلفيين ، ثم قفز إلى أعلى ، واستقرت قدماه فى وجهى الرجلين الأماميين ، ثم ترك الماسورتين ، وحطَّمت قبضته اليمنى فكّ أحد الحرس ، على حين هشَّمت اليسرى أنف الثانى ، ثم انطلقت تكسر ترقوة الثالث فى نفس

اللحظة ، التى غاصت فيها يسراه فى معدة الرابع ، ثم ارتفعت لتدك فكّه ، وهوى الأربعة أرضًا ..

دفعهم (أدهم) فى قوة إلى داخل الحجرة ، وهو يقول فى سخرية :

ــ فلنختبئ هنا أيها السادة ، قبل أن يرانا أحد زملائكم .

وفى سرعة أخذ يبدل ثيابه بثياب أقربهم حجمًا إليه ، ولم يكد ينتهى حتى دوى صوت (سونيا جراهام) ، من خلال مكبّرات الصوت المنتشرة فى كل الممرات ، قائلة :

ــ إلى جميع العاملين .. حالـة طوارئ قصوى .. مطلوب قتل الضابط المصرى الذى تم القبض عليه توًّا .. مطلوب قتله فى الحال .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يضع غطاء الرأس فوق رأسه ، ويميله بحيث يخفى عينيه :

ــ المهم أن يعثروا عليه أولًا يا عزيزتى (سونيا) .

ثم تناول أحد المدافع الرشاشة ، وتسلَّل فى هدوء وسط رجال (ألان) الذين يملئون المكان .

* * *

تطلَّع حارس مخزن الذخيرة إلى الرجل الواقف أمامه فى شك ، وقال :

ــ أية عملية هذه التى تحتاج إلى خمس قنابل موقوتة ؟

غمز الرجل بعينه ، وقال :

ــ إنها عملية سرِّيَّة يا زميلى ، ولقد أمر بها مسيو (ألان) نفسه .

تطلَّع إليه الحارس مرة ثانية فى شك ، واستدار متناولًا سمَّاعة هاتفه ، وهو يقول :

ــ حسنًا أيها الزميل .. سأتصل بمسيو (ألان) للتأكُّد و ....

وفجأة شعر حارس المخزن بيد فولاذية تجذبه ، وسمع صوتًا ساخرًا يقول :

ــ لا عليك إذن .. سأبحث عنها بنفسى .

وقبل أن يفهم الحارس ما يحدث ، تلقَّى لكمة كالقنبلة خلف أذنه ، ألقت به فى عالم الغيبوبة .. وتحرَّك (أدهم) فى خطوات سريعة إلى داخل المخزن ، وأغلقه وراءه بعد أن سحب جسم الحارس ، وهو يقول فى تهكُّم :

ــ معذرة يا صديقى .. لقد تعبت طويلًا حتى وجدت مخزنك هذا ، ولن أفسد الخطة لمجرد أنك عنيد .

وبعد بحث قصير ، أخرج (أدهم) القنابل الموقوتة ، وألقى نظرة على ساعته ، فوجدها تشير إلى السادسة إلا عشر دقائق ، فثبت إحدى القنابل داخل مخزن الذخيرة ، وأعدها للانفجار فى السادسة والربع ، ثم دسَّ الأربع الباقية فى ثيابه ، وأسرع يغادر المخزن فى خطوات سريعة .. وفى السادسة وخمس دقائق كان قد انتهى من تثبيت القنابل الأربع ووضع خطته ، ثم أسرع الخطا نحو مهبط الطائرات .

كانت خطَّته تعتمد على أن تنفجر القنبلة الأولى فى السادسة والربع ، وتليها الثانية فى السادسة والثلث ،

بحيث يمكنه الهروب ، مستغلًا حالة التوتُّر والذُّعر التى ستنشأ من انفجار القنبلة الأولى ، بحيث يبتعد عن القاعدة بمسافة كافية ، قبل أن تنفجر القنبلة الخامسة والأخيرة ، فتطيح بمخزن الذخيرة وبالقاعدة بأكملها .. وابتسم فى سخرية كعادته ، وهو يحثّ الخطا إلى مهبط الطائرات ..

ولم يكد (أدهم) يعبُر إلى داخل المهبط ، حتى وجد عشرة مدافع رشاشة تصوَّب إليه فجأة ، وسمع صوت (سونيا) ساخرًا يقول :

ــ مرحبًا يا سيِّد (أدهم) .. هل أدهشك أننى كنت أنتظرك يا تُرَى ؟

* * *

١١ ــ جبل النيران ..

ابتسم (أدهم صبرى) فى سخرية ، وألقى مدفعه الرشاش فى استهتار ، ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وقال فى تهكُّم :

ــ رائع يا عزيزتى (سونيا) .. إنك فى الواقع لا تدهشيننى على الإطلاق .

ابتسمت (سونيا) فى خيلاء ، وقالت :

ــ إنها مجرد مجموعة من الاستدلالات المنطقية يا مستر (أدهم) .. لقد أخبرنى الرجال أنهم عثروا على المكلَّفين حراستك ، محطَّمى الوجوه ، فاقدى الوعى ، فى الغرفة التى كان من المفروض أنها سجن لك ، وأن أحدهم فقد زيَّه المميَّز .. ولم يكن الأمر يحتاج إلى إنسان ذكى ليفهم أنك متنكِّر فى زىّ أحد رجالنا .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ يا للذكاء !!

ويبدو أنها لم تتبيَّن لهجة السخرية فى صوته ، أو أنها تجاهلتها ، إذ استمرت تقول فى غرور :

ــ وحينما فكَّرت : ما أنسب مكان تتوجَّه إليه ؟ وجدت أنه مهبط الطائرات حيث ستحاول استخدام إحداها للفرار .. أليس كذلك ؟

اختلس (أدهم) نظرة إلى ساعته ، ووجد عقاربها تشير إلى السادسة وإحدى عشرة دقيقة ، فقال محاولًا إضاعة الوقت :

ــ لقد كانت كل هذه العملية لاقتناصى يا (سونيا) .. أليس كذلك ؟

ابتسمت (سونيا) فى مكر ، وتجاهلت الإجابة عن سؤاله ، فأعاده بالعبرية ، وحينئذ رفعت إليه رأسها ، وقالت فى غطرسة بالعبرية أيضًا :

ــ هل تعلم أنك شديد الغرور أيها المصرى ؟

ثم أردفت فى سخرية :

ــ ولكن هذا صحيح للأسف .. إن كل هذه الخطة كانت تستهدفك أنت .

ابتسم فى سخرية ، وقال :

ــ ولا تريديننى أن أصاب بالغرور ، كيف يكون شعورك أنت إذا ما جنَّد جهاز مخابرات كامل قوَّته للقضاء عليك ؟

قالت (سونيا) فى تحدٍّ :

ــ أعدك بأن تكون علمًا فى تاريخ المخابرات يا مستر (أدهم) .. وخاصة بعد مصرعك هذا .

نظر (أدهم) فى ساعته .. كانت تشير إلى السادسة والربع إلا بضع ثوان ، وسمع (سونيا) تقول فى شماتة :

ــ الوداع يا سيِّد (أدهم) ..

وفجأة رفع (أدهم) كفَّه صائحًا :

ــ احترسوا .

ومع آخر حروف كلمته ، انفجرت القنبلة الأولى ، وكان للمزيج من صرخة (أدهم) وصوت الانفجار أثر قوى ، أثار ارتباك أفراد القاعدة جميعًا ، وتحرَّكت قدم (أدهم) لتطيح بمدفع رشاش ، ثم آخر ، وهشَّمت يمناه

فكَّى رجلين ، وحطَّمت يسراه آخرين ، ثم التقط مدفعه الرشاش ، وقفز فى الهواء ، قفزة أثارت ذهول الجميع ، وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش ، مصيبًا أربعة رجال فى آن واحد ، وساد الهرج والمرج حينما اشتعلت النيران إثر القنبلة الأولى ، ووصلت ألسنتها إلى مهبط الطائرات .

وهنا تخلَّى الجميع عن مبادلة (أدهم) إطلاق النار ، وأسرعوا يحاولون إطفاء النيران قبل أن تلتهم الطائرات .. وهذا بالضبط ما قدَّره (أدهم) حينما وضع خطته .. كان يعلم أن إنقاذ الطائرات تفوق أهميته بمراحل ، إلقاء القبض على رجل واحد .

ولكن هذا لم يمنع أن ثلاثة من الرجال بقيادة (سونيا جراهام) ، أخذوا على عاتقهم القضاء على (أدهم صبرى) ، وصاحت (سونيا) وهى تلتقط مدفعًا رشَّاشًا ، من بين يدى أحد الرجال الذى لقوا نحبهم .

ــ لا تسمحوا له بالهروب .. اقتلوه قبل أن يدمِّرنا جميعًا .

قفز (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، وتحطَّمت الأرضية المصقولة تحت قدميه ، بفعل الرصاصات التى انطلقت من مدافع الرجال الثلاثة ، واستدار (أدهم) بسرعة مذهلة ، وانطلقت رصاصات مدفعه الرشاش لتحصد الرجال الثلاثة ..

كانت ذراعه المصابة تؤلمه بشدة ، وبخاصة أنه اكتفى بتضميدها دون أن يخيط الجرح ، وشعر أنها تعاود نزيفها ، إلَّا أنه لم يبال ، وقفز إلى الهليوكوبتر .. ولكن رصاصات مدفع (سونيا) الرشاش حطَّمت زجاجها الأمامى ، وكادت تحطِّم جمجمة (أدهم) أيضًا ، لولا أنه أدار المحرِّك ، وارتفع بالطائرة داخل المهبط ، على حين صرخت (سونيا) فى الرجال الذين يحكمون مدخل القاعدة السِّرِّىّ :

ــ أغلقوا المدخل .. لا تسمحوا لهذه الطائرة بالهروب .

وفى نفس اللحظة انفجرت القنبلة الثانية ، فغطَّت على الجزء الثانى من عبارة (سونيا) ، وأحدثت مزيدًا من الارتباك والتوتُّر ، ولكن هذا لم يمنع الرجال من الإسراع لتنفيذ أوامرها ، على حين رفعت هى مدفعها الرشاش ، وأخذت تطلق النار على الهليوكوبتر ، التى مال بها (أدهم) فى براعة ، لم تساعده على الإفلات من الرصاصات التى اخترقت باطن الطائرة .. وغاصت إحداها فى ساقه ، ولكنها لم تمنعه من الميل بالطائرة والاندفاع بها نحو مدخل القاعدة ، فى سباق مع جانبيه اللذين اقتربا أحدهما من الآخر .. وصاحت (سونيـــا) فى فرح ، حينما ضاق مصْراعا المدخل ، ولكن صيحتها لم تكتمل ، بل تحوَّلت فجأة إلى صرخة غضب وغيظ ، عندما انحنى (أدهم) بالطائرة ، حتى كادت مراوحها تتحطَّم على أرضية القاعدة ، وعَبَر المدخل فى شكل يثير ذهول أبرع الطيارين ، وصرخت (سونيا) فى جزع ، وصاحت :

ـــ دمِّروا الطائرة .. لا تسمحوا لها بالإفلات .

أسرع الرجال نحو المدفع المضاد للطائرات ، على حين أسرعت (سونيا) إلى إحدى طائرات الفانتوم ، وصاح بها مسئول الطيران :

ـــ لن يمكنك قيادتها يا سيِّدتى .. إنها من نوع الـ (ف ـــ ١٦) أحدث طراز ، و ....

قاطعته (سونيا) وهى تقفز داخل الطائرة :

ـــ لا عليك أيها الرجل .. لقد تلقَّيت تدريبى فى الولايات المتحدة ..

وفى نفس اللحظة التى أدارت فيها (سونيا) محركات الفانتوم ، انطلقت المدافع المضادة للطائرات خلف هليوكوبتر (أدهم صبرى) ..

انحرف (أدهم) بالهليوكوبتر فى زاوية شبه مستحيلة ، وعاد يرتفع بها وهو يضغط على أسنانه من شدَّة الألم ، وساقه تنزف فى غزارة ، ورأسه يدور من الضعف بسبب ذراعه وساقه المصابتين ، وأصابت رصاصات المدفع المضاد للطائرات جسم الهليوكوبتر ، وخزان وقودها ..

وبذل (أدهم) مجهودًا خرافيًّا للسيطرة عليها ، وأدهشه توقُّف المدافع المضادة للطائرات عن القصف فجأة ، ولكن دهشته تضاعفت حينما رأى الفانتوم (ف ـــ ١٦) ، وهى تندفع من مدخل القاعدة ، وتتجه نحوه مباشرة كالنَّمر الشَّرس .

* * *

كان (أدهم) يعلم بخبرته فى الحروب السابقة ، وخبرته فى مجال الطيران ، أن فرصة الهليوكوبتر للنجاة أمام طائرة من طراز الفانتوم تساوى صفرًا .. بل إن فرصة مقاومتها فى حدّ ذاتها معدومة ، ولكنه حاول كعادته أن يقاوم .. فهبط بالهليوكوبتر إلى أسفل فجأة ، ودار بها دورة نصف كاملة ، بحيث أصبحت مقدمتها فى مواجهة الفانتوم تمامًا ، ثم ارتفع بها فجأة ، متفاديًا سيل الرصاصات الذى انهمر من رشاش ال (ف ـــ ١٦) ، وعاد يدور بها فى محاولة يائسة للفرار ، ولكن الرصاصات أصابت مروحة ذيل الهليوكوبتر ، فتحطَّمت وفقدت الهليوكوبتر توازنها ،

وأخذت تدور حول نفسها بشكل مخيف ، واندفعت نحوها الفانتوم ، وفى داخلها صاحت (سونيا) فى فرح جنونى :

ـــ لا فائدة أيها الشيطان المصرى .. لن تنجو هذه المرة .. سأدمِّرك تدميرًا .

ثم ضغطت زرًّا صغيرًا تحت سبَّابتها ، وانطلق من أسفل جناح الفانتوم صاروخ من صواريخها المدمِّرة نحو الهليوكوبتر ، و (سونيا) تصرخ :

ـــ وداعًا يا ضابط المخابرات المصرى .

ولو أن قائد الفانتوم طيار خبير أو مقاتل قديم ، لانفجرت الهليوكوبتر فى أقل من دقيقة ، ولكن ضعف خبرة (سونيا جراهام) ، ساعدت (أدهم) على الإفلات من الصاروخ . الذى انفجر فى أقرب مرتفع ثلجى إليه ..

لم يكن أمام (أدهم) ، الذى فقد السيطرة على الهليوكوبتر تمامًا ، إلَّا الهبوط وهو يدور حول نفسه فى ارتباك ، بعد تحطُّم مروحة الذيل ، وفى نفس الوقت أطلقت الفانتوم صاروخها الثانى نحو الهليوكوبتر ، وانفجرت قاعدة (آلان شيفاليه) العسكرية فى الوقت ذاته ، واشتعلت النيران فى قمة الألب .

١٢ ـ نهاية بطل ..

وصلت الهليوكوبتر إلى ارتفاع أربعة أمتار ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها صاروخ الفانتوم نحوها .. ولم يجد (أدهم) أمامه سوى حل واحد ، فقفز من الطائرة ، وترك جسده المصاب يهوى من ارتفاع الأمتار الأربعة ، وارتطم جسده بالثلوج فى قوة ، فى نفس اللحظة التى انفجرت فيها الهليوكوبتر بعد أن أصابها الصاروخ ، وتناثرت شظاياها فى كل مكان على مساحة شاسعة ، وسقط بعضها على بعد سنتيمترات قليلة من رأس (أدهم) ، الذى نهض فى صعوبة ، واختلطت دماؤه الحمراء بالثلج الأبيض فى مزيج عجيب .. ورأته (سونيا) وهو يجاهد للابتعاد ، فعضت شفتيها غيظًا ، وتوجَّهت نحوه بالفانتوم وهى تقول :

ـ ربما نجحت فى تدمير قاعدة (شيفاليه) العسكرية ، ولكنك لن تفلت منّى أيها الشيطان المصرى .



فقفز من الطائرة ، وترك جسده المصاب يهوى من ارتفاع الأمتار الأربعة ..

وضغطت بإبهامها على زرٍّ أحمر صغير فى طرف عصا القيادة ، فانطلقت رصاصات الرشاش المثبت فى مقدمة الفانتوم ، لتتناثر لها الثلوج حول (أدهم) ، الذى اندفع يهبط التل الثلجى ، وهو يغمغم فى سخرية عجيبة ، لا تتناسب مع المأزق الصعب الذى يحيط به :

ـ ابذلى كل طاقاتك يا عزيزتى (سونيا) ، فأمامك فرصة ذهبية للقضاء علىَّ .

وعلى بعد أمتار قليلة ، لمح (أدهم) كشكًا خشبيًّا ، ذا سقف مائل من جانبيه ، ومغطًّى بالثلوج ، فأسرع الخطا نحوه ، وهو يجر ساقه المصابة فى إرادة حديدية ، ودماؤه تسيل على ساقه ، وتصنع خطًّا دمويًّا خلفه ، ورصاصات مدفع (سونيا) الرشاش تتناثر حوله كالمطر ..

صرخت (سونيا) غيظًا ، حينما فرغت رصاصات الرشاش فجأة ، ودارت بالفانتوم دورة واسعة ، ثم عادت تنقض على (أدهم) ، وشاهدته فى حنق وهو يدلف إلى الكوخ الخشبى الصغير ، الملاصق للجبل الثلجى الضخم ، فصرخت فى غضب :

ـ لن أسمح لك بالإفلات أيها الشيطان .. لن أسمح لك .

وفى غمرة غضبها الجنونى ، أطلقت الصاروخ الثالث ، وأعقبته بالرابع والأخير ، وانفجر الكشك الخشبىّ ، وتناثرت أجزاؤه فى كل مكان ، ثم ارتفع هدير قوى ، وانهار الجبل الجليدى الضخم بفعل الانفجار ، والتردُّد القوى ..

ارتفعت (سونيا) بالفانتوم عاليًا ، وعادت تهبط بعد دورة رأسية كاملة ، وصرخت (سونيا) فرحًا ، حينما شاهدت أطنان الثلوج التى تغطّى الكشك الخشبىّ الصغير ، وصاحت وقد تملّكتها فرحة جنونية عارمة ، تختلط بنزعات ساديَّة رهيبة :

ـ لقد قتلته .. لقد حطَّمت أخيرًا أسطورة (أدهم صبرى) .. الرجل الذى لا يقهر .

* * *

هزَّ مفتش البوليس السويسرى رأسه نفيًا ، وقال محدِّثًا (منى توفيق) :

— تقبّلى أسفى يا سيّدتى .. إننا لم نعثر على أى من الأحياء فى المنطقة كلها .

قالت (منى) ، وهى تكبح جماح الدموع من عينيها بصعوبة :

— هل بحثتم فى المكان جيّدًا يا سيّدى ؟.. ربما يكون قد ابتعد كثيرًا أو .....

عاد المفتش يهُز رأسه فى أسف ، وقال :

— لقد عثرنا على القاعدة السرّيّة التى أخبرتنا عنها يا سيّدتى .. عثرنا عليها محطّمة تمامًا ، بعد أن انفجر مخزن ذخيرتها ، كما أكد خبراؤنا ، وليس بداخلها رجل واحد على قيد الحياة .. ثم عثرنا على هليوكوبتر محطّمة ، حدّدت أجهزة الرادار مكانها بدقة ، بعد أن سجلت قتالًا عجيبًا بينها وبين طائرة مجهولة ، ومن نقطة تحطُّم الهليوكوبتر ، وجدنا خطًا غير مكتمل من الدماء ، ينتهى تحت أطنان من الثلوج ، التى سقطت إثر انفجار صاروخ قوىّ ، أدّى إلى انهيار جليدى رهيب .

انسابت دموع (منى) على خدّيها فى هدوء ، على حين أكمل المفتش قائلًا :

— ولقد عثرنا على الطائرة نفسها ، ولدهشتنا كشفنا أنها من نوع الفانتوم الأمريكية .. بل وطراز (ف ــ ١٦) المتقدّم ، ولقد طلبنا من حكومة الولايات المتحدة تفسير هذا الأمر .. والعجيب أننا وجدنا الفانتوم شبه محطّمة بعد ارتطامها بالثلوج ، ولكن مقعد القيادة فيها اختفى ، وهو يحتوى كما تعلمين على مظلّة هبوط ، وهذا يوحى بأن قائد الفانتوم قد نجا ، ولكننا لم نعثر عليه ، أو على أى أثر له ، باستثناء المقعد طبعًا .

قالت (منى) فى صوت أجش من شدة البكاء :

— ألا يحتمل أن يكون (أدهم) قد أفلت من الانهيار و ....

قاطعها المفتش قائلًا :

— معذرة يا سيّدتى ، ولكننى لا أحب أن أمنحك أملًا زائفًا .. فمن المستحيل أن يعيش مخلوق حى تحت أطنان

الثلوج هذه مدة عشر دقائق كاملة ، فما بالك بعشرين ساعة ، وهى الفترة التى انقضت ما بين الانهيار وهذه اللحظة ..

شهقت (منى) ، وأخذت تبكى فى انهيار ، فربَّت المفتش على كتفها ، وقال مواسيًا :

— تقبّلى عزائى يا سيّدتى .

قالت فى صوت يملؤه البكاء :

— لن يمكنك أن تتصوّر فداحة المصاب يا سيّدى .. لقد كان بطلًا لا يمكن تعويضه .

عاد المفتش يربُت على كتفها قائلًا :

— لكل شىء نهاية يا سيّدتى .. حتى الأبطال .. هذه هى حكمة الحياة .

رفعت عينيها إليه ، ثم أجهشت بالبكاء ، وهى تدفن وجهها بين كفّيها قائلة :

— نعم يا سيّدى .. حتى الأبطال لهم نهاية .

* * *

١٣ ــ المكافـأة ..

قفزت (سونيا جراهام) درجات السُلّم ، المؤدى إلى غرفة مدير (الموساد) فى مرح وحماس ، وهى تلقى التحية على كل من يقابلها من رجال مخابرات دولتها ، ثم طرقت باب حجرة المدير فى لهفة ، ولم تكد تسمع صوته وهو يأمرها بالدخول ، حتى اندفعت إلى الداخل بشكل أدهشه ، حتى أنه رفع حاجبيه إلى أعلى ، ومطَّ شفتيه فى ضيق ، وهو ينظر إليها متعجّبًا ، ولكنها صاحت وهى تقفز فى حبور :

— لقد قتلته يا سيّدى .. قتلت (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا مدير (الموساد) دهشة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى فرح عارم ، وهو يصرخ :

— مستحيل !! .. هل أنت واثقة يا (سونيا) ؟

صاحت فى فخر وسعادة :

ـ كل الوثوق يا سيِّدى .. لقد دفنته تحت أطنان من الثلوج فى سويسرا .. لقد نجحت خطَّـتك العبقريـة يا سيِّدى .

ارتعدت أصابع مدير (الموساد) ، وانتقل الارتعاد إلى صوته ، وهو يتناول سمَّاعة الهاتف الخاص قائلًا :

ـ رائع أيتها الملازم .. رائع .. إنه أروع خبر سمعته منذ التحاق بالجيش ، عام ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين ..

وطلب رقمًا خاصًّا ، وهو يغمز لها قائلًا :

ـ أراهن أن رئيس الوزراء سيعمل على ترقيتك ، فور سماعه الخبر و ....

وفجأة قطع الاتصال وسألها فى شك .

ـ ماذا لو كنت مخطئة أيتها الملازم ؟

زوَت (سونيا) ما بين حاجبيها فى غضب ، فاستطرد مدير (الموساد) ، وهو يعيد السمَّاعة إلى مكـانها فوق الهاتف :

ـ أعنى لو أنه خدعك بشكـل أو بآخر .. إننى لا أحب أن أكون أضحوكة .. أعنى لو أننا أذعنا الأمر ، ثم وجدنا أننا على خطإ ..

قاطعته (سونيا) قائلة فى غضب :

ـ أقول لك إننى رأيته بنفسى يُدْفَن أسفـل انهيار جليدى رهيب .

مطَّ مدير (الموساد) شفتيه ، وقال :

ـ لن يضيرنا أن ننتظر قليلًا حتى يتأكَّد الأمر ، ثم نذيعه و ....

صاحت (سونيا) فى غضب :

ـ ألا تظن شهادتى مصدر ثقة ؟

قال مدير (الموساد) فى عناد :

ـ سننتظر قليلًا أيتها الملازم .. هذا أمر .

قلبت (سونيا) شفتيها فى سخـط ، واستـدارت فى هدوء ، وغادرت الغرفة .

* * *

هبطت طائرة مصر للطيران فى مطار القاهرة الدولى ، وهبطت منها (منى توفيق) وهى ترتدى منظارًا داكنًا ، يغطِّى عينيها المحمرَّتين من فرط البكاء .. ولم تكد تغادر المطار ، حتى وجدت (حازم) ينتظرها ، وعلى وجهـه دلائل حزن عميق ، فاقتربت منه وصافحته ، وهى تقول فى صوت باكٍ :

ـ هل علمت بما حدث يا سيادة المقدم ؟

أومأ (حازم) برأسه إيجابًا ، وهو يفتح باب سيارته ، ويدعوها لركوبها ، ثم دار حول مقدمة السيارة ، واندسَّ أمام عجلة القيادة ، وأدار المحرِّك وهو يقول :

ـ لقد علم الجميع بما حدث ، وستفاجئك حالتهم حينما تصلين إلى الإدارة .

هزَّت رأسها نفيًا فى حزن ، وقالت :

ـ لن يفاجئنى شىء يا سيادة المقدم .. لم يعد هناك ما يمكـن أن يثير مشاعـرى ، بعـد مصرع (رجـل المستحيل) .

ناولها (حازم) ورقة صغيرة مطويَّة ، وهو يقول :

ـ هل اطلعت على هذا ؟ .. سينشر غدًا فى جريدة (الأهرام) .

قرأت (منى) الورقة ، ثم أبعدتها قبل أن تتمَّ ما بها ، وقالت وهى تمسح الدموع التى انسالت على وجهها :

ـ لم جعلتنى أقرأ هذا ؟ .. إنه نعى (أدهم صبرى) .

مطَّ شفتيه وهو يقول :

ـ نعم للأسف .. ولكنه أمر لا مفرَّ منه .. لقد أمر سيادة اللواء المدير بنشر هذا النعى ، ولن يمكننا مخالفة أوامره .

ابتسمت فى رثاء ، وقالت :

ـ هذه هى النهاية يا (أدهم صبرى) ، يا من عرفت يومًا بلقب (رجل المستحيل) .. يا من جُبْتَ الأرض شمالًا وجنوبًا .. شرقًا وغربًا .. هكـذا تكون نهايتك .. مجرد مستطيل من الورق فى صفحة الوفيات .. يا للعار !!

قال (حازم) فى هدوء :

ــ هذا أقصى ما تسمح به السرِّيَّة فى عمل المخابرات أيتها النقيب ، ونحن لسنا نجوم سينما حتى يملأ خبر وفاة أحدنا الصفحات الأولى من الجرائد والمجلات .

وابتسم فى سخرية ومرارة ، وهو يردف :

ــ إننا مجرد رجال مخابرات ، نتقاضى أجرنا ثمنًا لدفاعنا عن سلامة وأمن الوطن .. مجرَّد موظفين .

* * *

دخلت (سونيا جراهام) إلى مكتب مدير (الموساد) ، وقالت فى برود :

ــ بِمَ تأمر يا سيِّدى ؟

صاح بصوت يرن بالسعادة :

ــ ادخلى أيتها الملازم .. هل اطلعت على الصحف المصرية لهذا الصباح ؟

تنبَّهت حواسها ، وقالت فى اهتمام :

ــ لا تقل لى إنهم نشروا خبر وفاة (أدهم صبرى) ، فى الصفحة الأولى .

ضحك مدير (الموساد) فى جذل ، وقال :

ــ لو أنهم فعلوا لتصوَّرت أنها خدعة أيتها الملازم .. ولكنهم نشروا خبر وفاته كنعى صغير بدون صورة ، فى ركن مهمل من صفحة الوفيات بجريدة الأهرام .. ولقد أفاد جاسوسنا فى مصر ، أن شقيقه الدكتور (أحمد صبرى) ، قد حضر على وجه السرعة من (ستوكهولم) ، وهو يرتدى رباط عنق أسود ، وأنه يبحث عن مشترٍ لشقة (أدهم صبرى) فى حىّ المهندسين .. أى تأكيد نطلب أكثر من ذلك لإعلان مصرع (أدهم صبرى) ، عدوّ (الموساد) رقم واحد .

صفقت (سونيا) بكفَّيها فى مرح كالأطفال ، وصاحت :

ــ إذن فأنا التى قتلت أقوى رجل مخابرات فى العالم .. يا للفخر !!

رفع مدير (الموساد) سماعة الهاتف ، وهو يقول جذلًا :

ــ نعم أيتها الملازم .. لك كل الفخر .

ولم يكد يستمع إلى صوت محدِّثه ، حتى قال فى عجلة :

ــ لقد قضينا على ضابط المخابرات المصرى (أدهم صبرى) يا سيادة رئيس الوزراء .. نعم .. أؤكد لك ذلك .. لقد وضعت أنا الخطَّة ، ونفَّذتها عميلتنا الممتازة (سونيا جراهام) .

وبعد محادثة قصيرة أعاد السماعة إلى مكانها ، والتفت إلى (سونيا) قائلًا وهو يبتسم :

ــ أهنِّئك يا أجمل فتاة مخابرات فى العالم .. لقد حصلت على ترقية استثنائية من رئيس الوزراء شخصيًّا .

تهلَّلت أسارير (سونيا) ، وقالت :

ــ مجرد انتصارى على (أدهم صبرى) ، مكافأة عظيمة يا سيِّدى .

ناولها مدير (الموساد) الملف الضخم الذى يضم أعمال (أدهم صبرى) ، وهو يقول :

ــ تكرَّمى بتسليم هذا الملف الضخم إلى الأرشيف للحفظ ..

ثم ابتسم وهو يستطرد :

ــ أخبريهم أننا قد أغلقنا ملف (أدهم صبرى) إلى الأبد .

* * *



١٤ ـ الختام ..

لأول مرة فى التاريخ القصصى ، ستعود بنا الخاتمة إلى نقطة تسبق ما قبلها ... إلى حيث تركنا المقدم (حازم) ، وهو يحمل النقيب (منى) فى سيارته ، من مطار القاهرة إلى مقر المخابرات ...

توقَّفت سيارة (حازم) أمام مبنى إدارة المخابرات ، وهبطت منها (منى) دون أن تخلع منظارها الأسود ، وتلفَّتت حولها فى سخط ، وكأنها تعاتب الجميع على استمرارهم فى أداء أعمالهم بعد وفاة (أدهم صبرى) ، وكأنما كانت تتوقَّع أن تتوقَّف الأرض عن الدوران ، أو تتوقَّف ساعات العالم عن الحركة ، ويقف الزمن نفسه ؛ لأن (رجل المستحيل) قد انتهى ..

وصعدت تتبع (حازم) إلى الطابق الثالث ، حيث مكتب مدير المخابرات ، وسبقها هو إلى الداخل ، ثم تبعته

هى فى خطوات بطيئة حزينة ، وطالعها داخل المكتب لفيف من الأصدقاء .. مدير المخابرات .. (قدرى) بجسده البدين الضخم ، والدكتور (أحمد صبرى) شقيق (أدهم) .. وخلعت (منى) منظارها الأسود ، ولم تستطع منع دمعة حزينة انسابت على وجنتيها ، وهى ترنو إلى الدكتور (أحمد) قائلة :

ــ هل علمت بما حدث يا دكتور ؟.. لقد فقدنا (أدهم) ..

قهقه (قدرى) فجأة ضاحكًا بصورة أدهشتها ، وأثارت غضبها فى آن واحد ، وابتسم الجميع ابتسامة غامضة ، والتفتت (منى) إلى (قدرى) وعلى وجهها علامات الغضب والعتاب ، إلَّا أنه تحرَّك فجأة جانبًا .. وتسمَّرت (منى) .. تجمَّدت ملامحها ، وسقطت فكّها السفلى ، وجحظت عيناها ، ثم تجمَّعت ملامحها لترسم لوحة رائعة للفرحة والدهشة والحب .. وارتفع حاجباها فى عاطفة واضحة ، وطفرت الدموع من عينيها ، وهتفت باسم (أدهم) ، وهى تسمعه يقول فى حنان :

ــ يؤسفنى أنكم لم تفقدوه بعد يا عزيزتى .

لم تشعر (منى) إلَّا وهى تتعلَّق بعنق (أدهم) وتبكى .. لم تشعر بمن حولها .. لم تحاول حتى المحافظة على التقاليد العسكرية فى حضرة مدير المخابرات .. كل ما شعرت به هو يد (أدهم) التى تربَّت على ظهرها فى حنان ، وصوته الذى يموج بالعاطفة وهو يقول :

ــ مهلًا يا عزيزتى .. إننى أقف بصعوبة ، فساقى ممزقة عن آخرها ، وذراعى لم تلتئم جراحها بعد .

جفَّفت عبراتها ، وهى تسأله فى مزيج عجيب من الفرح والدهشة :

ــ أخشى أن أكون فى حلم سعيد .. أو وهم خدَّاع .. أخبرنى بالله عليك .. كيف نجوت ؟.. كيف وصلت إلى هنا ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وقال :

ــ إنها قصة عجيبة يا عزيزتى .. إنك تسمعين طويلًا عن الحكمة التى تقول : « اسعَ يا عبد ، والله يسعى معك » .. ولكننى رأيتها بعينى ..

وتنهَّد فى عمق وكأنه يستعيد ذكرى مؤلمة ، ثم استطرد :

ــ فور رؤيتى لذلك الكوخ الخشبىّ ، المغطَّاة قمته بالثلوج والملاصق للجبل ، عرفت على الفور طبيعته ، وتمنَّيت لو أن (سونيا جراهام) لم تنتبه إليه .. لقد كان مدخلًا لأحد المناجم المهجورة ، ولقد اعتاد العمال منذ قديم الأزل ، على إحاطة مداخل المناجم القديمة بما يشبه الأكواخ ، حيث يمكنهم الإقامة طوال فترة عملهم .. وحينما دخلت إلى الكوخ وأغلقته خلفى ، كنت أعلم أن جنون الانتقام فى نفس (سونيا) سيدفعها إلى ضرب الكوخ ، على أمل أن تنجح فى قتلى ؛ لذا فقد أسرعت إلى داخل المنجم نفسه ، وأخذت أجرّ ساق المصابة عدة أمتار فى أعماقه ، ثم ....

وتوقَّف لحظة ، ثم تابع فى هدوء :

ــ ثم أطلقت (سونيا) صواريخ الفانتوم ، وانفجر الكوخ ، وتهدَّم مدخل المنجم ، وانهارت آلاف الأطنان

من الثلوج ، ووجدت نفسى فى وضع لا أحسد عليه .. حيًّا فى قبر من الصخور والثلوج .. ولكننى تذكَّرت فجأة أن مثل هذه المناجم تزوَّد دائمًا بفتحة تهوية .. وقضيت حوالى الساعة أبحث عن هذه الفتحة ، وكتمت الدماء التى تنزف من جروحى بقطع من ثيابى ، وكنت أرتجف بردًا ، ولكننى واصلت البحث ..

غمغمت (منى) فى أسًى :

ــ يا لك من مثابر !!

ابتسم وهو يردف فى هدوء :

ــ وأخيرًا عثرت على الفتحة ، وخرجت .. وجدت نفسى حيًّا خارج القبر الثلجى .. وأخذت أسير حوالى كيلومترين ، ثم وجدت سيارة قبل صاحبها أن يصحبنى إلى أقرب مستشفى .. وهناك ضمَّدوا جروحى،وأبلغوا الشُّرطة .

وتحوَّلت ابتسامته إلى السخرية ، وهو يكمل :

ــ وأعتقد أن رجال الشُّرطة قد حضروا بالفعل .. لست أدرى ، فقد غادرت المستشفى فى زىّ أحد الأطباء ، ومنها إلى مكتبنا ، حيث أبدلت ثيابى وأسرعت إلى المطار ، ثم إلى القاهرة ، وكنت أعلم أنك ستتبعيننى إلى الوطن .

قالت (منى) ، دون أن تفارقها دهشتها :

ــ ولكن ذلك النعى الذى قرأته ، وحضور الدكتور (أحمد) .. لم حاولتم إيهامى بأنك قضيت نحبك فعلًا ؟

ابتسم (أدهم) ونظر إلى مدير المخابرات ، الذى ابتسم بدوره ، وأجاب عن سؤالها قائلًا :

ــ لقد رأينا أن هذا هو الأسلوب الأمثل ، لتهدئة جنون (الموساد) أيتها النقيب ، نحو القضاء على (أدهم صبرى) .. سننشر نعيه فعلًا فى الصباح .. ولقد طلبنا من الدكتور (أحمد صبرى) الحضور فى سرعة ، وبشكل يوحى بالحزن العميق .. ولقد عاوننا مشكورًا ، حتى أنه ألغى ثلاث مؤتمرات علمية طبِّية ، كان من المفروض اشتراكه فيها .. وسنتخذ كل الإجراءات الموحية بموت (أدهم) فعلًا ..

غمغمت (منى) :

ــ ولكن لماذا ؟

أجابها (أدهم) قائلًا :

ــ لست أخاف الصراع مع (الموساد) يا عزيزتى كما تعلمين ، فقد ألِفْتهُ .. ولكننى وجدت أنهم يريقون الكثير من الدماء فى جنون سادىّ فى طريقهم إلىَّ .. فقد قتلوا ثلاثة من زملائنا فى (برن) لمجرَّد اجتذابى .. وهنا وجدت أن الأسلوب الأمثل ، هو إيهامهم بأنهم قد نجحوا فى قتلى بالفعل .

قال مدير المخابرات ، وهو يضحك :

ــ وسيضطرك هذا للتنكُّر ، فى كل العمليات القادمة أيها العقيد .

قهقه (قدرى) فى ضحكة ارتج لها جسده البدين ، وهو يقول :

ــ لن يزعجه هذا يا سيِّدى ، فهو يبدل ملامحه فى مهارة وبساطة كالحرباء .

وابتسم الدكتور (أحمد صبرى) ، وداعب لحيته القصيرة وهو يقول :

ــ على الأقل سأرتاح قليلًا من وجهه هذا ، حينما يزورنى فى (السويد) .

ضحك الجميع فى جذل ، واحتضن (أدهم) كفّ (منى) الرقيق بين راحتيه ، ونظر فى عينيها مباشرة وهو يقول فى هدوء وعاطفة :

ــ سؤال أخير يا عزيزتى (منى) .. لقد تردَّدت كثيرًا فيما سأطلبه منك الآن ، وبحثت الأمر فيما بينى وبين نفسى طويلًا ، ثم قرَّرت أخيرًا أن أقدم على هذا الأمر ..

وصمت لحظة حارت فيها عيناها ، وهى تغوص فى عينيه السوداوين ، ثم ابتسم وهو يقول فى صوت خافت :

ــ هل تقبلين الزواج منِّى أيتها النقيب ؟

ابتسم الجميع ، وتبادلوا النظرات ، وهم يتوقَّعون موافقة (منى) ، لما يرونه من لهفتها على (أدهم) ، ولكنها أدهشتهم حينما سحبت كفَّها من بين راحتيه ، وظهرت الحَيْرة على وجهها ، وهى تقول فى ارتباك :

ـــ لست أدرى يا (أدهم) .. لو أنك طلبت منّى ذلك قبل ثمان وأربعين ساعة ؛ لفقدت الوعى من شدة فرحى وسعادتى ، ولكن .. بعد كل هذا العذاب والألم والحزن الذى عرفته ، حينما تصوَّرت أنك قد لقيت حتفك ، أجدنى متردِّدة .. فلا أعتقد أننى قادرة على تحمُّل كل تلك المشاعر مرة أخرى .. صدِّقنى .. ربما اتهمنى الجميع بالجنون ؛ لأننى أرفض الزواج من (رجل المستحيل) .. ولكننى فى حيرة بالغة وإن كنت لا أتصوَّر زوجًا لى غيرك .. لذا فإننى أعدك إذا ما تزوَّجت ، فلن يكون رجلًا غيرك يا (أدهم صبرى) .. لن أكون زوجة إلَّا لـ (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

● العـدد القــادم ●

آخــر الجبــابرة

* كيف بقى أحد الجستابو الألمان هاربًا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الآن ؟
* هل يمكن إخراج آخر الجبابرة هذا من دولة تطلب رأسه ؟
* تُرَى .. أينجح (أدهم صبرى) فى إنهاء هذه العملية أم يسقط فى براثن المخابرات الشرقية ؟
* اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترَى كيف يعمـل .. (رجـل المستحيل) .

اقرأ التفاصيل المثيرة فى العدد القادم